الدكتور عدنان علي رضا النحوي

المرأة بين نهجين

الإسلام أو العلمانية

الطبعة الأولى
... ١هـ - ١٩٩٩م

دار النحوي
للنشر والتوزيع

ⓒ دار النحوي للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النحوي ، عدنان علي رضا
المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية .- الرياض
١٧٦ص ، ١٢×١٧ سم
ردمك ١-٥١-٦٧٨-٩٩٦٠
١- المرأة في الاسلام ٢- الاسلام والمجتمع أ- العنوان
ديوي ٢١٩,١ ١٩/٤٤١٧

رقم الإيداع : ١٩/٤٤١٧
ردمك : ١-٦٨٧٥١-٩٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار النحوي للنشر والتوزيع

دار النحوي للنشر والتوزيع

هاتف وفاكس : ٤٩٣٤٨٤٢

ص.ب : ١٨٩١ الرياض : ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية

الإهـــــــداء

إلى المرأة الزوجة لتتذكر حق بيت الزوجية، حق الزوج وحق الأبناء.

إلى المرأة الأم لتتذكر واجب الأمومة.

إلى المرأة المسلمة لتتذكر واجباتها في تبليغ رسالة الله، وفي التعهد والتربية والبناء، بناء الجيل المؤمن الذي تحتاجه الأمة.

إلى الرجل ليتذكّر مسؤولياته في رعاية بيته زوجةً وأبناءً، وليساهم في بناء الجيل المؤمن.

إلى الرجال والنساء ليدركوا أن النساء شقائق الرجال حين يقوم الرجل بالوفاء بعهده مع الله، وحين تقوم المرأة بالوفاء بعهدها مع الله.

الافتتــــــــاح

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ
﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ
دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ٧ – ١٠]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١]

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ
وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا
حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي

﴿... الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤]

وعن عائشة وعن ابن عباس رضي الله عنهم عن الرسول ﷺ قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».

[رواه الترمذي وابن ماجه والطبراني](١)

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «خيركم خيركم للنساء» [رواه الحاكم] (٢)

١- صحيح الجامع الصغير وزيادته: (ط:٣) (رقم: ٣٣١٤)

٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته: (ط:٣) - (رقم: ٣٣١٦)

مقدمة

سبق أن نشرتُ بحثاً موجزاً عن «الاختلاط والزيارات العائلية» في كتاب: «واقع المسلمين أمراض وعلاج». ونشرتُ في كتاب «قبسات من الكتاب والسنة - تدبُّرٌ وظلال» بحثاً آخر بعنوان: نقص العقل والدين- مع الحديث الشريف: «يامعشر النساء...»! ونشرت في مجلة الشقائق كلمة بعنوان «القضية الأولى للرجل والمرأة». وقد رغب إليّ بعض الإخوة بجمع هذه الموضوعات في كتاب واحد لتسهل دراستها.

قضايا المرأة في الإسلام واضحة بيّنة لا صعوبة في فهمها وتدبّرها والتزامها. وما كان الله ليفرض على عباده ما هو خارج وسعهم وطاقتهم، وهو القائل سبحانه وتعالى:

﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٢]

إن الصعوبة تنشأ من النفس عندما يغلبها الهوى ويكون الهوى لغير ما أمر الله به. فالعلاج إذاً هو علاج النفوس أولاً حتى تُحَلَّ كثير من المشكلات والقضايا التي يدور حولها جدلٌ واختلاف. وكيف تُقْنِع من اتخذ إلهه هواه، وتبع ما يأمره به هواه:

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ ﴾
[الفرقان: ٤٣]

وكذلك :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٣]

ولو رجعت المرأة والرجل إلى الكتاب والسنة لوجدا الأمر ميسّراً جليّاً، ميسّراً للذكر وللممارسة :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

[القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٢]

لا شكَّ أن بعض التصوّرات في واقع المسلمين اليوم قد اضطربت كثيراً، وذلك لسببين رئيسين ينبع من كل سبب منهما أسباب فرعية متعددة. وهذان السببان هما : جهل الملايين من المسلمين بالكتاب والسنة واللغة العربيّة، ثم تسلّل الأفكار الغازية والمبادىء المنحرفة مع زخرف ما يُسمّى بالحضارة الحديثة، وضغط القوة العسكريّة الهائلة والتقدم الصناعي والفنّي السريع.

قضية المسلمين اليوم ليست قضيّة المرأة وحدها، ولكنها قضيّة الرجل والمرأة معاً. ولايمكن معالجة قضية أحدهما منعزلة عن قضية الآخر. ولا وجود في هذا الكون للمرأة وحدها، ولا للرجل وحده. فالحياة تقوم على سنن ربّانيّة ثابتة، ومن هذه السنن حاجة الحياة للرجل والمرأة معاً، كما سنبيّن في الصفحات المقبلة.

إن واقعنا اليوم يضع المرأة، كما يضع الرجل، أمام نهجين مختلفين، على كل منهما -الرجل والمرأة- أن يختار نهجه ودربه: إمَّا الإسلام وإما العلمانيّة، وأن يتحمل مسؤولية اختياره وقراره:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩ - ٣١]

في المجتمع المسلم الذي يحكمه الإسلام، والذي تكون فيه كلمةُ الله هي العليا، لامكان فيه للكفر والشرك والعَلمانيّة وما يتبعها مِنْ أفْكار. إن الله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء والرُّسل على مدار التاريخ البشريِ، وبعث محمداً ﷺ خاتماً للأنبياء والمرسلين، بعثهم جميعاً لِيَدْعوا البشريّة إلى أنه «لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمّداً عبده ورسوله»، وليجففوا من الأرض مستنقعات الكفر والشرك والإلحاد، مستنقعات الفتنة والظلم والفساد، بعثهم الله جميعاً ليعلّموا الناس أن الله خلق عباده ليعبدوه، وأن هذه العبادة هي أساس رسالة الإنسان في الأرض، وأساس الرسالة التي يجبُ أن تحملها البشرية كلها، وأنّ هذه العبادة نهج متكامل مترابط متناسق في الحياة، يشمل نشاط الإنسان كله في جميع ميادين الحياة، وهو يمضي على صراط مستقيم فصّله منهاج الله، يمضي في سبيل الله، من هدف ربّانيٍّ ثابت إلى هدف ربّانيّ ثابت، إلى أهداف ربّانيّة ثابتة ممتدة إلى الهدف الأكبر والأسمى -الجنّة والدار الآخرة ورضوان الله- . وأنّ هذه العبادة وهذا النهج هما محور الأمانة التي حملها الإنسان، والخلافة التي جُعِلتْ له، والعِمارة التي أُمِرَ بها.

لقد امتد تسلل الانحراف في واقع المسلمين تحت ضغط رهيب من العاملَيْن اللذين سبق ذكرهما، حتى أصبح بعض الدعاة والعلماء يَصْدرون بفتاوى مخالفة للكتاب والسنّة تحوطها زخارف المصطلحات العاطفية والفكرية، في قضايا تمسّ الرجال، وقضايا تمسّ النساء، وقضايا تمس الرجل والمرأة معاً، تمسُّ أساس العقيدة والدين، وأساس حياة الإنسان ورسالته. وحسبك من ذلك دعوى مساواة المرأة بالرجل، دعوى تحمل المصطلحات العامة لا يأتي معها تحديد ولاضبط، ثم دعوى الاختلاط، ثم استغلال ذلك لتشويه بعض معاني الإسلام الكريمة. ولقد سقط ضحية ذلك كثيرون من الرجال والنساء.

أَعتبر هذا الكتاب نداءً للرجل والمرأة، عسى أن يوقظ برحمة من الله وفضل بعض من يسر يد الله لهم النجاه من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة.

وإنّ هذا النداء ينضم إلى نداء المؤمنين المتقين الذين سبقوا فكتبوا ونادوا ودعوا، وعسى أن يجزل الله لهم الأجر والثواب، ويجمع جهود المؤمنين المتقين في الأرض كلها في مجرى واحد مشرق بالنور، مستقيم ممتد جليّ.

أدعو الله العظيم جلّ جلاله أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ندياً برحمته، غنياً بفضله، فلله وحده الفضل كله والأمر كله والملك كله، وله الحمد كله، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولاقوة إلا بالله العليّ العظيم.

عدنان علي رضا النحوي

الرياض:
٢٤ رمضان ١٤١٩هـ
١١/١/١٩٩٩م

الباب الأول

القضيّة الأولى للرجل والمرأة في الإسلام

الفصل الأول
المرأة
بين نهجين

منذ عصور قديمة وللمرأة مشكلة في المجتمعات المضطربة أو المتفلّتة من ضوابط الإيمان والتوحيد، في مختلف بقاع الأرض وفي مختلف العصور، ولكنها لم يكن لها أي مشكلة في مجتمع الإيمان والتوحيد، المجتمع الذي يحكمه منهاج الله في جميع شؤون حياته.

كيف لا تكون للمرأة مشكلة في المجتمع، أو لا تكون إحدى مشكلاته، إذا اضطرب المجتمع واضطربت موازينه، أو إذا تفلّت كلّ التفلّت من الإيمان. الإنسان، الرجل والمرأة، يحمل الشهوات. إنه يحمل شهوة الجنس، وشهوة المال، وشهوة السمعة. الرجل يميل إلى المرأة، والمرأة تميل إلى الرجل. هكذا خلقهما الله.. جمال المرأة وجسدها فتنة للرجل، وكذلك الرجل بالنسبة للمرأة. فإذا خرجت المرأة كاسية عارية، كاشفة من جسدها الكثير، أو مظهرة من تفاصيله الأكثر، وسمح لها

المجتمع بـذلك، ثم التقت بـالـرجل في أماكن متعـددة، أمـام الناس، ثمّ في خلـوة. فما الذي يمنع تلك أو ذاك من الـرغبة في الفاحشة وممارستها، إذا لم يكن هناك خشية من عقاب في الدنيا وعقاب في الآخرة. فكيف يكـون الحال إذا المجتمع سمح بذلك قانوناً وعادة وعرفاً وأشاعه، أو إذا يسّره كذلك.

إذا تفلّت الإنسان مـن ضوابط الإيمان فما الذي يمنعـه من جمع المال الحرام، وهـو لايـؤمن بالحرام؟ ومـا الـذي يمنعـه من التنـافس على الـــدنيـا وزهـوتها، مستحـلاً مـن أجل ذلك كل وسائل الكذب والخداع والظلم والاعتداء.

كـان للمـرأة قضيّـة تثـار في كل مجتمع مضطـرب الموازين منحرف القيم أو جاهليٍّ أو ملحـدٍ، كان للمرأة قضيّة في العصر الجاهليّ في الجزيـرة العـربيّـة، وفي اليونـان وفي رومـا في عصـور الانحلال والتفلّت. ولها قضيـة كُبْري اليوم في الحضارة الغـربيّة التي سحقت المرأة وسرقت شرفهـا وحطمت كـرامتها ورمتهـا في فتنة الـدنيا ووحـول فسادهـا، مخدّرةً لاتُحِسُّ بحقيقة شقـائها،

خدرتها الشهوة المتفلّتـة، أو الجري اللاهث وراء لقمة العيش، أو زهوة المراكز والمناصب والمسؤوليات.

ولكن لم يَكن للمرأة مشكلـة في عصر النبوة الخاتمة، ولا في عصر الخلفــاء الـراشــدين، ولا في أيِّ عصر سـاد فيــه حكم الكتاب والسنّة وكانت كلمة الله فيه هي العليا.

ولكننا اليـوم نعاني مـن هذه القضيـة، قضيّة المرأة. فلماذا قامت هذه المشكلة ومن الذي أثارها؟!

إننا نعاني من هذه المشكلة في معظم أنحاء العالم الإسلامي لسببين رئيسين برزا في الواقع الإسلامي في العصر الحديث:

أولاً: جهل معظم المسلمين بـدينهم جهـلاً امتـد قـروناً طويلـة، جهلاً رافقه خلل في التصـوّر الإيماني وخلل في الممارسة الإيمانيّـة. وكـان أبـرز صـور الجهـل الجهل بـالكتـاب والسنـة والجهل بالواقع ومـايجرى فيه. ورافق ذلك أيضاً تخلّف مهين في ميـادين كثيرة من ميادين الحيـاة: الصناعيـة والعلوم التطبيقيـة المختلفة بصورة خاصة.

ثانياً : زحف الحضارة الغربية بجيوشها وسلاحها المدمِّر، وعَلمانيّتها المفارقة للإيمان بالله واليوم الآخر إهمالاً أو كفراً وإلحاداً ، والحالتان سواء، وفجورها بالظلم والعدوان، وبالفاحشة والخمور والمخدرات، والشهوات الجنسية الملتهبة، مع زخارف متعدّدة: علم تطبيقيّ وصناعة، وشعارات كاذبة مغرية كالديمقراطية والحرية والإخاء والمساواة، والحداثة والبنيوية والتفكيكية، والاشتراكية، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة، ومساواة المرأة بالرجل وغير ذلك .

هذان السببان جعلا المسلم أمام حَيرة شديدة، فهو يرى مظاهر برّاقة حلوة تكاد تقنعه، وليس لديه من دينه إلا زاد قليل لايسمح له باكتشاف باطل الحضارة الغربية ولا كشف عوراتها وضلالها ، وكثيرون لا يملكون التحصين الداخليّ ليدفعوا عن أنفسهم زخارف برّاقة وزينة مُغْرِية .

وتسلَّلتْ الحضارة الغربية إلى واقع العالم الإسلامي، حتى سرت في عروق الكثيرين، وأَعْمَتْ قلوبهم وأبصارهم، وصاروا من دعاتها . وزاد الأمر خطورة أن من دعاة الإسلام من سقط في

حماة العلمانية والديمقراطية ووحولها ، حتى صار يجهر بالدعوة إلى الديمقراطية وإلى العلمانية ويساويها بالإسلام أو يرفعها فوق الإسلام، ويظلّ يعتبر نفسه داعية مسلماً .

سألت أحدهم، بعد أن أنهى حديثه عن الديمقراطية وما فيها من حرّية وإخاء ومساواة : إذا كانت الحرية المطلوبة والإخاء والمساواة في الديمقراطية وليست متوافرة في الإسلام، فاجهر برأيك وقل فلنترك الإسلام . وإذا كانت هذه كلها متوافرة في الإسلام على صورة أفضل وأعظم مما هي في الديمقراطية، فلماذا لا ندعو إلى حرّية الإسلام وعدالته ومساواته؟! إذا كان واقعنا سيئاً سوءاً لا نختلف عليه، فلماذا نطلب النجاة والعون والإصلاح من الديمقراطية ولا نطلبها من الإسلام، من دين الله، من الله رب العالمين، إن كنا نؤمن حقّاً بالله وبدينه، وإذا كنا لا نتخذ دين الله شعاراً نخفي تحته الفتنة والضلال؟

هذه هي مشكلتنا اليوم! إنها ليست مشكلة المرأة وحدها، إنها مشكلة المرأة والرجل في وقت واحد . فإذا كانت المرأة فقدت اليوم بعض ما أعطاها الإسلام، فالرجل قد فقد

الكثير أيضاً . إن المشلكة مشكلة الرجل والمرأة، مشكلة الإنسان في مجتمعات تنتمي إلى الإسلام ولا تطبّق الإسلام ولا تأخذ به .

إن الإسلام يعالج مشكلات الإنسان، رجلاً وامرأة، لأن الله حمَّلهما الأمانة معاً وجعل لكل منهما دوراً محدَّداً يقوم به، وجعل بين الدورين تكاملاً وتعاوناً وتناسقاً، لاتنافراً وصراعاً .

إن الإسلام لا يأخذ مشكلة جزئية يعزلها عن الواقع والحياة، ثم يضع لها حلولاً . إن الإسلام دين متكامل مترابط يُؤْخذ كله على تناسقه وتكامله، ولايؤخذ منه جزءٌ ويُترك جزء .

لذلك نودّ أن نؤكد أن لنا اليوم قضيّة أُولى كبرى للرجل والمرأة معاً، يجب الالتفات إليها من خلال الإسلام، لامن خلال سواه، من خلال الكتاب والسنة عن إيمان صافٍ وعلم صادق .

إن من أخطر مظاهر الانزلاق إلى اضطراب التصوّر والفكر والاجتهاد، حين تريد أن يحكم الواقع كما هو على

منهاج الله، لا أن يحكم منهاج الله على الواقع. فبعضهم لا يريد أن يغيّر الواقع إلى ما يريده الإسلام، ولكن يريد أن يلوي الآيات والأحاديث ويغيّر مفهومها وحكمها لتطابق الواقع الذي يرفضه الإسلام.

إن الإسلام لايفاضل بين الرجل والمرأة، لأنهما مشتركان بالمسؤولية معاً، ولكنه يحدّد النهج والمسؤوليات والحقوق لكل منهما، ليتعاونا من خلال ما وهب الله كلاً منهما من خصائص تعينه على الوفاء بمسؤولياته، وليبقى الرجل رجلاً، ولتبقى المرأة امرأة، ولا تصلح الحياة بغير ذلك.

فإذا أرادت المرأة أن تكون رجلاً، وإذا أراد الرجل أن يكون امرأة، فإن هذا يفسد الحياة. ولايمكن المساواة بين الرجل والمرأة، لأن هذه المساواة شعار مُغْرٍ تحوطه الزخارف من أجل استغلال الرجل والمرأة معاً لصالح المجرمين في الأرض، الظالمين المفسدين المعتدين.

لقد صدرت بعض الاجتهادات من بعض المسلمين بخصوص قضايا متعددة، ومن بينها بعض قضايا المرأة. خرج

الاجتهاد تحت ضغط الواقع، يلوي الآيات والأحاديث ليخضعها للواقع، بدلاً من أن يردَّ الواقع إلى منهاج الله. إننا نأمل أن تثبت القاعدة الإيمانية في واقعنا اليوم، القاعدة التي تفرض أن نردّ الواقع إلى منهاج الله، نفهمه من خلال منهاج الله، وندرسه من خلال منهاج الله، ويخرج الاجتهاد والرأي بعد ذلك من منهاج الله.

ولا بد أن تكون هذه القاعدة الربانيّة التي نصّ عليها القرآن الكريم أساساً في التربية والبناء، والإعداد والتدريب، في بناء الأجيال المؤمنة وأساساً لمعالجة مشكلات واقعنا اليوم.

قضايا المرأة في الواقع اليوم كثيرة: مساواة المرأة بالرجل شعار يُعْلَن هكذا على عموميّته، عمل المرأة، حجاب المرأة، حرّية المرأة، وكثير غير ذلك. كل هذه القضايا لم تكن لتثور أو تثار لولا أن المفسدين في الأرض والمجرمين يريدون المرأة في ميادين العمل متعةً رخيصة، وهذا الواقع اليوم أمامنا في العالم الغربي حيث تُعْلَن كل يوم فضائح رجال الدولة في مختلف المستويات، وحيث تُعلَن جرائم الفاحشة والفجور ممتدّة في المجتمع.

الاختـلاط الذي تبنـاه الغـرب أورثـه الأمراض التي تعـذّر عـلاجهـا، والجرائم التي تعـذّر إيقـافهـا، والأدب الإبـاحيّ، والصور والصحف والمجـلات الجنسية الفـاضحة المفضـوحة، حتى خلعت المرأة ثيابها وحياءها، وخلع الرجل حياءه .

في واقع المسلمين اليوم قضـايا ومشكلات للـرجل وللمرأة وليس للمرأة وحدهـا. ولايمكن حل مشكلات الرجل إلا بحلّ مشكلات المرأة، وكـذلك بالنسبـة لمشكلات المرأة فإنها مـرتبطة بحل مشكـلات الـرجل. وجميع المشكـلات والقضـايـا ينطلق حلّها من نقطة واحدة، ويمضي حلّها في مسيرة واحدة.

نقطــة الانطـلاق هي قضيــة الإيمان والتـوحيــد، وهي الأساس في كل نشاط إسـلامي وفي كلّ ميدان: هي الأساس في ميدان السيـاسة وميـدان الاقتصاد وميـدان الاجتماع، وميادين الأدب والتربية والفكر عامة وغير ذلك.

المرأة، كما هـو الرجل، بين نهجين مختلفين: نهج الإسـلام والإيمان والتـوحيـد، ونهج العلمانيّة والنظـرة الماديـة لهذه الحيـاة الدنيا. نهج يربط الدنيا بالآخرة، ونهج يعزل الدنيا عن الآخرة،

فكيف يكو اللقاء بينهما؟! نهج الإسلام نهج ربّـانيّ ممتدّ متكامل متماسك، ونهج المادّيّة نهج بشريّ رسمته الأهواء والظنون.

المرأة المؤمنة تجاهد في سبيل الله لتثبّـت النهج الربّانيّ، ولتعين الـرجل في نصرة الله ودين الله. ولن تجد بـذلك مشكلة إلا مجاهـدة النفس والاستقامة على أمر الله، كالرجل في ذلك سواء بسواء.

المرأة المسلمة مبتـلاة والرجل المسلم مبتلى. وهـذه سنّة الله في الحيـاة الدنيـا، حيث جعلها الله دار ابتـلاء وتمحيص. وحين يعلم الله من عباده صدق النيّة والعزيمة، وصفاء الإيمان وصدق البذل، فإنه يتولّى عباده الصالحين رجالاً ونساءً بـرحمته وعونه ومغفرته. وأما الكـافــرون فإنهم مبتلــون كـذلك ببــلاء أعظم لكن لايجدون مع ابتلائهم مايجده المؤمن من رحمة في الدنيا وفوز في الآخرة:

﴿ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

[النساء: ١٠٤]

الفصل الثاني
مع الحديث الشريف
«إنما النِّساء شقائق الرجال»[1]

نعم! فالنساء شقائق الرجال كما قال رسول الله ﷺ . ويؤكِّد هذا الحديثَ الشريفَ الآيةُ الكريمةُ من سورة النِّساء :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴿١﴾ ﴾ [النساء : ١]

لقد أراد الله أن يكون النساء شقائق الرجال حتى يكون الوفاء بالأمانة التي حملها الإنسان مسؤولية الرجل والمرأة معاً . لقد خلق الله الإنسان وأنزله الأرض حتى يُحقِّق مهمة كبيرة أرادها الله سبحانه وتعالى، وبيّنها لنا في كتابه الكريم من خلال أربعة تعبيرات : العبادة، الأمانة، الخلافة، العمارة .

والعبادة هي عبادة شاملة لكل مايقوم به الإنسان في الحياة الدنيا من عمل يخلص معه النيّة لله سبحانه وتعالى،

ويكون في الوقت نفسه خاضعاً إلى منهاج الله . وعندما يتحقّق هذان الشرطان يتحقّق في العمل معنى العبادة والأمانة والخلافة . فإذا نهض الإنسان لكامل مسؤولياته بهذين الشرطين تيسَّر له عمارة الأرض بحضارة الإيمان بدلاً من الحضارة المادية .

فمسؤوليّة الإنسان إذن عظيمة ممتدة مع الحياة والأجيال . ولايستطيع الرجل أن يحقّقها وحده ، ولا المرأة وحدها ، وإنما هي مسؤوليّة مشتركة بين الرجل والمرأة ، حين يقوم الرجل بالتكاليف المنوطة به ، وتقوم المرأة بالتكاليف المنوطة بها ، وتظل المرأة امرأة ، ويظل الرجل رجلاً ، حتى يكون النِّساء بذلك شقائق الرجال ، لا أن يصبحن رجالاً ، ولا أن يصبح الرجال نساءً .

ففي الحياة الزوجية لا يكون النساء شقائق الرجال إلا إذا كان الرجل زوجاً يقوم بمسؤوليات الزوج والقِوامة والأبوّة ، والمرأة تقوم بمسؤوليات الزوجة والأمومة . فإذا أخذت المرأة بعض دور الزوج تحت شعار المساواة وجعلت القوامة لها مثلاً ، فلا هي أصبحت رجلاً حقيقة ولا مساوية للرجل ، ولا هي

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط : ٣) - حديث (رقم : ٢٣٣٣) وقال رواه عن عائشة رضي الله عنها أحمد وأبو داود والترمذي ، ورواه البزاز عن أنس .

قامت بالدور الذي خُلِقت له -دور الزوجة والأم-، فتضطرب الحياة الزوجية وتفسد، ولاتعودُ النساء بذلك شقائق الرجال.
ومن هنا جاء الحديث الشريف الصحيح.

عن ابن عباس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: **«لعن الله المتشبّهات من النساء بالرجال، والمتشبِّهين من الرجال بالنساء»**
[رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه][1]

والتَشَبُّه ليس في اللباس فقط، وإنما كذلك في السلوك والعمل، حين تأخذ المرأة دور الرجل حيث لايحقُّ لها ذلك، أو يأخذ الرجل دور المرأة حيث لايجوز له ذلك.

ولا نستطيع أن نضع حدوداً فاصلة بين هذا الدور وذاك الدور في جميع ميادين الحياة. ولكن وضع الإسلام نهجاً واضحاً محدّداً يتّبعه المجتمع المسلم برجاله ونسائه، يدرك الرجل المؤمن من خلاله مسؤولياته، وتدرك المرأة من خلاله مسؤولياتها. ويسهل معرفة حدود كلٍّ منهما إذا صفا الإيمان والخشية من الله، وصدق العلم بمنهاج الله، فهناك أمور مشتركة بين الرجل والمرأة، نذكر أهمها:

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته: (ط: ٣) (رقم: ٥١٠٠).

كـلاهما أُمِـر بالتفكير وبـاتخاذ القـرار المستقل بـالإيمان أو الكفر، وتحمل نتائج القرار المتخذ في الدنيا والآخرة.

كلاهما أُمِر أن يعلـن الشهادتين إعلاناً صادقـاً ويبايع الله ورسوله على عهد مفصّل في منهاج الله.

كـلاهما أُمـر بأداء الشعــائر في تكليف واحـد مع وجـود حالات خاصة بالمرأة بالنسبة لصلاتها في البيت وأفضلية ذلك، ومـايترتب على ظـروفهـا الخاصـة من حيث الحمل والـرضـاعـة والصيام، وغير ذلك.

كلاهما أُمِـر بطلب العلم الذي أسـاسه الكتـاب والسنّة، وجعل الله طلب العلـم فـرضـاً وعبـادة، وكـذلك بأداء دوره في التعليم.

كـلاهما مكلف بأداء دوره بـالـدعوة إلى الله ورسـولـه، إلى الإيمان والتوحيد، إلى الإسلام، في مجاله المتميّز وميدانه.

كـلاهما مكلف بـرعـايـة خـاصّـة بـه في البيت من حيث الإنفاق أو التربية في مراحلها المختلفـة. فالرجل قوّام وهو ينفق

على البيت، والمرأة ترضع وتربي، ثم ينمو دور الرجل كلما نما الطفل.

كلاهما مكلف بأن يجعل بيت الزوجيّة سكناً ومودة وتعاوناً من خلال النهج والحدود التي رسمها الإسلام لكل منهما. ولا يتمّ ذلك إلا بأن يكون الرجل رجلاً والمرأة امرأة، وبأن يؤدّي كل منهما واجباته من خلال التعاون والرحمة والألفة.

فعمليّة التربية وبناء الأجيال المؤمنة لاتنجح إلا حين يقوم الرجل والمرأة بدورهما ويوفيان بمسؤوليتهما.

وفي سائر مراحل المسيرة الإيمانيّة في الحياة: الجهاد في سبيل الله، بناء الأمة المسلمة الواحدة، عمارة الأرض بحضارة الإيمان، في جميع هذه المراحل، للرجل دور وللمرأة دور، والدوران متكاملان متصلان. فواجب كل منهما أن يعي دوره من خلال منهاج الله ليوفي أمانة أدائه، ولتكون النساء شقائق الرجال لا الرجال.

هذه المسيرة الإيمانيّة في الحياة الدنيا بوحداتها الكبرى تمضي بالرجال والنساء لابالرجال وحدهم، ولا بالنساء

وحدهنّ، ولا بـانفصال الرجال في ميدان مغلـق معزول والنساء في ميـدان مغلق معزول. إنـه ميـدان الحياة الـذي يجمع الـرجل والمرأة جمع طهـرٍ وعفّـة من خـلال منهج رّبـاني. إنـه منهج مفصّل في الكتاب والسنة استطـاع المسلمون مع النبوة الخاتمة أن يعـرفوه ويعـوه ويطبّقوه ويلتـزمـوه. عرف الـرجل فيه حـدوده وعرفت المرأة فيه حدودها. إنه ميدان واحد ومنهج مفصّل يُبتلى فيه الـرجل ويمحَّص وتُبتلى فيه المرأة وتُمحَّص. إنـه منهج ربانيّ حرّم الـزنا وكلَّ مايُقـرِب منه وحلّل الزواج ويسّر سُبلَـه، وحرّم الخلوة بين الرجل والمرأة، وفـرض على المرأة أن تستر جسدها وأن لاتلبس مـايصف جسمها، وأن تخفي زينتهـا إلا على محارمها، وأن تخفي كلّ مـايثير شهـوة الـرجـال ويجذب انتبـاههم، وأن تغضّ بصرها، وفـرض على الرجل أن يغضّ بصره، وحـرَّم عليه الخلـوة بـالمرأة إلا إذا كـان محرمـاً لها. وفـرض على الـرجل والمرأة مستوى من الأخلاق يحمي الطرفين. وجـاء هذا كله في نصوص حاسمة واضحة لاتلتبس إلا في من عنده مرض في قلبه.

إن فتنة الشهـوة الجنسية حقيقـة لا مجال لإنكارهـا. وهي باب ابتلاء وتمحيص.

والإسلام يعـالجها أطيب علاج في الـرجل والمرأة . والعلاج أن يلتزم الـرجل مـا أمره الله ، وأن تلتـزم المرأة ما أمـرها الله ، وأن يخضع المجتمع كلُّه لدين الله وشرعه .

ولقـد كان المجتمع الـذي بنـاه محمد ﷺ النمـوذج الأمثل لممارسة هذا المنهج من الرجل والمرأة ، ولمعالجة ماينشأ من أخطاء أو يـرتكب من مخالفـات . لقد اشتركت المرأة في حقهـا بـالإيمان والمبـايعـة ، والأمر بـالمعـروف والنهي عن المنكـر ، والصبر عنـد الشدائد ، وتعلم القرآن الكريم ، والمشـاركة في الجهاد في حدود قدراتها وما يأذن به الإسلام .

وبصـورة موجـزة نقـول : ابْنِ الـرجل المؤمن التقيّ وَ ابْنِ المرأة المؤمنة التقيّة ، ليعرف كلٌّ منهما كتـاب الله وسنة رسوله ، في مجتمع يحكمـه منهاج الله لا الأهـواء والعادات المنـافية للـدين ، فإذا تـوافــر ذلك أصبحت النسـاء في ميـزان الإســلام شقـائق الرجال . ويظل النساء شقائق الـرجال ، مادام الجميع في ميدان ابتلاء وتمحيص ودعوة إلى الله ورسوله .

إن الذي نعاني منه اليوم هو جهل المسلم والمسلمة للكتاب والسنة، وخلل واضح في مظاهر الإيمان وتصوره . ومجتمعات كثيرة تَحَلَّلَتْ من ضوابط الإسلام، وانفلتت فيها الشهوات. في مثل هذه الحالات يسأل بعضهم ماذا تفعل هنا وماذا نفعل هناك!

إنه ابتلاء من الله شديد بما كسبت أيدي الناس. والمرأة المؤمنة الصادقة عليها أن تجاهد نفسها وتنطلق بدينها إيماناً وعلماً وممارسة ودعوة، والرجل المؤمن الصادق عليه أن يجاهد نفسه وينطلق بدينه إيماناً وعلماً وممارسة ودعوة. إنها فترة ابتلاء وتمحيص ومعاناة . ولكن الدرب واضح وجليّ، والأهداف واضحة جليّة ، على صراط مستقيم ممتدّ إلى الهدف الأكبر والأسمى -الجنّة- .

إذا كان الرجل ماضياً على الصراط المستقيم الذي بيّنه الله لنا صادق النيّة والعزيمة والعلم والبذل في سبيل الله، قلبه معلّق بالجنّة لا بالدنيا ، وإذا كانت المرأة كذلك ماضية على الصراط المستقيم نفسه، صادقة النيّة والعزيمة والعلم والبذل في

سبيل الله ، قلبها معلّق بالجنّة لا بالـدنيا ، إذا كان هذا هو حال الـرجل والمرأة، يجاهــد كلٌّ منهما ليفي بعهـده مـع الله ، واعيـاً لحقيقة عهده مع الله ، فكيف لاتكون النساء شقائق الرجال؟!

لم يكن أيـام النبـوّة الخاتمة ولا في عهد الخلفـاء الـراشـدين مصاحف مطبوعة في أيـدي الناس كما هو الحال اليوم، ولم يكن هناك إذاعـات ولا تلفاز ولاصحـف ومجلات، ولا مسجلات، ولاغير ذلك مما هو متوافر اليـوم، ومع ذلك عرف الرجل حدوده وعرفت المرأة حدودها، ولم تقم مشكلة لا للمرأة ولا للرجل . فما بالنا اليوم نخلق ألف مشكلة للمـرأة وألف مشكلة للرجل؟ وما بالنا اختلط علينا الفقه الذي لم يختلط على الأميين؟!

خلافات حول الحجاب، وخـلافات حول هذه وتلك! لقد سمعت المرأة المسلمة آيـات الله تُتلى، وهي امرأة أُمّيـة، فأسرعت إلى تنفيـذها دون أن تثـار مشكلة من الـزوج أو المجتمع، وسمع الرجل آيـات الله تُتلى فبادر إلى التـزامها وممارستهـا، دون أن يثور عليه أحد، ودون أن تحتدم الخلافات في الآراء .

إن أساس الحل هو بناء الإنسان المؤمن الصادق في إيمانه بهداية الله له، الإنسان الذي يعرف دينه من الكتاب والسنّة، ويعي واقعه من خلال ذلك، عندئذ ستعرف المرأة مسؤولياتها وحقوقها بصورة إيمانيّة، وسيعرف الرجل ذلك أيضاً، وسيعرف كلٌّ منهما حدوده فلا تلتبس عليه، فيمضي الرجل والمرأة في ميدان الحياة الدنيا يؤدّون العبادة التي خُلق لها الإنسان، والخلافة التي جُعِلت له، والأمانة التي حملها، والعمارة التي أُمِر بها. يمضي الرجال والنساء في مسيرة إيمانيّة صادقة جليّة، يكون فيها النساء شقائق الرجال بالتقوى والصراط المستقيم، والأهداف الربانيّة الثابتة، والعهد الحق الثابت مع الله.

المرأة مكلفة في الحياة الدنيا والرجل مكلف كذلك. وقام التكليف كله من عند الله لتحقيق هذه المعاني الرئيسة الأربعة: العبادة والخلافة والأمانة وعمارة الأرض بحضارة الإيمان. فإذا استقرّ هذا التصوّر في قلب الرجل والمرأة استقرار إيمانٍ وعلم بمنهاج الله، فإن المرأة ستعرف بيسر وسهولة ميادين عملها في الحياة الدنيا لتكون النساء شقائق الرجال.

ونرى أن هنالك أسساً ثابتة وضعها الإسلام كي ينضبط النشاط ويتمّ التكامل بين نشاط المرأة والرجل. ونوجز هذه الأسس بما يلي:

١- أن توفي المرأة أولاً بوظيفتها الأساسية التي كلفها الله بها: وهي رعاية الزوج وولده وبيته لتعين الرجل في هذه المسؤولية العظيمة، والمسؤولية الخطيرة، بناء البيت المسلم الطاهر، والأسرة المتماسكة الطاهرة العاملة.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيّته. فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيّته والرجل راعٍ على أهله وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيّده وهو مسؤول عنه. ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيّته»** [رواه الشيخان والترمذي وغيرهم][(١)]

«... والمرأة راعية على بيت بعلها وولده...»! هذا تكليف من عند الله يُبلّغه لنا رسوله الأمين محمد ﷺ. فهل يحقّ للمرأة

(١) البخاري: ١١/ ١١/ ٨٩٣. مسلم: ٣٣/ ٥/ ١٨٢٩. الترمذي: ٢٤/ ٢٧/ ١٧٠٥

المؤمنة الصادقة أن تدير ظهرها لأمر الله ورسوله وتكليف الله لها؟!

والمرأة لاتفي بحق ربّها الذي ستسألُ عنه وتحاسَب عليه حتى توفى أولاً بحقّ بيتها وزوجه وولده:

فعن عبدالله بن أبي أوفى عن الرسول ﷺ قال: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده، لا تؤدّي المرأة حق ربّها حتى تُؤَدِّي حق زوجها كُلَّه، حتى لو سألها نفسها وهي على قَتَبٍ لم تمنعْه**»

[رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان] (١)

ومن حقِّ زوجها كلِّه أن تُعنى بالأولاد رعاية كاملة وتربية، ولا تتركهم للمربّيات والعاملات. الزوجة التي لاتصلح أن تكون مُربّية لأولادها وتتركهم لغيرها، لاتصلح أن تكون زوجة وأُمّاً. إن الله أراد من المرأة أن تكون زوجةً وأُمّاً، لأنَّ الأمومة ضرورية لصلاح المجتمع. وعندما توفي النساء بهذه المسؤولية في البيت، فإنهن يكنَّ شقائق الرجال. فالمرأة تقوم بواجبها في بناء البيت والرجل يقوم بواجبه، وكلاهما يقوم بذلك

(١)

ليكون العمل عبـادة لله ووفاء بجـزء من الأمانـة والخلافة وعمارة الأرض بحضارة الإيمان .

٢ - **أن تخفي زينتهـا إلا على محارمها** ، وأن لاتصف مـلابسُهـا شيئاً من جسمهـا : وأن لاتخرج من بيتهـا معطّـرة بـالطيب ولو كـانت خارجـة إلى المسجد . وذلك حتى لاتكـون بـاب فتنة يُشعِلهـا الشيطـان ، أو شياطين الإنس والجن ، لهيبـاً تكون هي من أول ضحاياها .

٣ - **أن تبتعـد عن مـواطن الفتنـة أينما كـانت حتى** لاتُفْتَنَ ولا تَفْتِن .

٤ - **أن لا تسمح بالخلوة إلا مع محارمها.**

٥ - **أن لا تسمح بالاختلاط المستمرّ مع الرجال تحت أي ظروف** ، إلا ماهـو طـارىء عـابـر ضروري ، مع كـامل الحجاب الشرعي والأدب والخلق المتين .

٦ - **أن لا تقوم بأعمال تتطلب الاختلاط بالرجال، ولا بأعمال لاتصلح لطبيعتهـا ولا بأعمال منـافيـة لأخـلاق الإسلام وآدابه.**

ومن أهم مايوجب أن نوضّحه هو حرمة العمل الذي ينافي الشروط السابقة كلها. وقد مال بعض الدعاة إلى التساهل في أمور كهذه ظناً منهم أن ذلك من باب «الوسطية»، فأباحوا التمثيل للمرأة واشتراكها مع الرجال في ذلك. ونقول بشكل واضح جليّ إن التمثيل وأجواءه حرام على المرأة المسلمة المؤمنة التي تخشى ربّها وترجو الدار الآخرة [١].

إن المرأة المسلمة التقيّة لاتحتاج إلى أحد أن يُفتي لها بذلك. إنها هي قادرة على أن تفتي لنفسها. وإنها هي المسؤولة أولاً وآخراً بين يدي الله حيثُ لن يغني عنها أحد من أهل الأرض، لامن أهلها ولا من الدعاة أو غيرهم، لأنها مكلفة أن تعرف دينها ومسؤولة عن ذلك، كما أن الرجل مكلّف ومسؤول.

وحين قال الرسول ﷺ: لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها....» فإنه ﷺ قال

(١) كتبت في هذا الموضوع رداً على من دعا إلى دخول المرأة في التمثيل في مجلة المجتمع العدد (١٣٢٣) ٧ رجب ١٤١٩هـ - ٢٧/ ١٠/ ١٩٩٨م. وقد طرح الموضوع أولاً في العدد (١٣١٩) - ٩/ ٦/ ١٤١٩هـ الموافق ٢٩/ ٩/ ١٩٩٨م.

كذلك : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»

[رواه الترمذي وابن ماجه والطبراني](١)

وكذلك قال :

«خيركم خيركم للنساء» رواه الحاكم [رواه الحاكم](٢)

وقال :

عن عبدالله بن عمرو عن الرسول ﷺ قال : « الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»

[رواه أحمد ومسلم والنسائي](٣)

والإسلام يبني الرجل بمنهجه المتكامل ويبني المرأة . ولقد قدّم تاريخ الإسلام لنا نماذج رائعة من المؤمنات التقيات اللواتى عرفن حدودَهنّ كما رسمها الإسلام ووقفن عندها ، فكنّ شقائق الرجال يتكامل عملهنّ وعمل الرجال .

وخير النماذج من النساء أربع . فعن أنس عن النبي ﷺ قال : « خير نساء العالمين أربع : «مريم بنت عمران ، وخديجة

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط : ٣) (رقم : ٣٣١٤). وقال : رواه الترمذي عن عائشة ، وابن ماجه عن ابن عباس والطبراني عن معاوية ، (٢) رواه الحاكم عن ابن عباس صحيح الجامع الصغير وزيادته : (رقم : ٣٣١٦). (٣) المصدر السابق : (رقم : ٣٤١٣).

بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»

[رواه أحمد والطبراني][1]

وكان من أعظم ماقدّمنه نصرة دين الله والاستقامة عليه، ومقارعة الكفر والشرك في حدود مسؤولياتهنّ.

وعن أبي هريرة عن الرسول ﷺ قال: «خير نساءٍ ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده» [رواه أحمد والشيخان][2]

وعن أبي أُذَيْنة الصدفي عن الرسول ﷺ قال: خير نسائكم الولود الودود، الواسية المواتية إذا اتقَيْن الله، وشَرّ نسائكم المتبرّجات المتخيّلات، وهنَّ المنافقات لايدخل الجنّة منهن إلا مثل الغُراب الأعصم» [رواه البغوي وابن السكن][3]

ويظل التوجيه منصبّاً على رعاية البيت المسلم والأسرة المسلمة التي هي نواة الأمة المسلمة كلها، وكذلك على أن يقوم كل مسلم وكل مسلمة بالتكاليف المحدَّدة التي أمر الله بها، وعلى النهج الذي بّينه الله رب العالمين.

(١) المصدر السابق: ٣٣٢٨، أحمد: ٢٢/ ١٨٩. (٢) المصدر السابق: (٣٣٢٩).
(٣) المرجع السابق (٣٣٣٠).

وعن عبدالله بن سلام عن الرسول ﷺ قال : «خير النساء من تسرُّك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك» [رواه الطبرانيّ](١)

وعن أبي هريرة كذلك : «خير النساء التي تسرّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولاتخالفه في نفسها ومالها بيا يكره»
[رواه أحمد والنسائي والحاكم](٢)

هذا هو النهج الرباني، هذا هو الإسلام. وبهذا التصوّر فقط نفهم معنى حديث رسول الله ﷺ : «إنما النساء شقائق الرجال».

وكما ذكرتُ قبل قليل، فقد قدم تاريخ الإسلام نماذج عظيمة ممتدة من النساء العالمات الداعيات المجاهدات. وكان لكل واحدة منهنّ فضل مُمَيّز في ميدان أو ميادين كلها خاضعة لمنهاج الله.

فخديجة رضي الله عنها أولُ من آمن بالنبيّ ﷺ على وجه الأرض، فنصرته بمالها وعقلها وإيمانها في مواقف رائعة.

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (٣٢٩٩). (٢) المصدر السابق : (٣٢٩٨).

وإذا كان أول من آمن بالنبيّ محمد ﷺ على وجه الأرض امرأة، فإنَّ أوّل من قُتِل في سبيل الله امرأة كذلك هي سمّية زوج عمار رضي الله عنهما.

وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها كان لها الدور العظيم في هجرة الرسول ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة. فكانت تحمل لهما الطعام وحدها في الليل وتنقل لهما الأخبار، وتتعرّض لأشد الأخطار. وظلّت مسيرتها في حياتها كله مسيرة المرأة المجاهدة الداعية التي ربّاها الإسلام وعلّمها مسؤولياتها فنهضت إليها. وسمّيت ذات النطاقين لأنها قطعت نطاقها نصفين تربط عليها واحداً، وتحمل الزاد للرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه في النصف الآخر.

وأم سلمة رضي الله عنها تتقدّم بالرأي الصائب للرسول ﷺ في الحديبية حين أشارت عليه بأن يبدأ هو بالحلق والذبح فيتبعه اصحابه الذين تردّدوا في ذلك.

وامرأة تأتي الرسول ﷺ فتسأله عن أمور دينها مما جهلته خاصاً بالنساء، فأعجب الرسول ﷺ ببيانها وأدبها وصدق اهتمامها بدينها.

وخولة بنت ثعلبة تشكو زوجها إلى رسول الله ﷺ ببيان رائع وأدب عظيم وحجة وبلاغة، حتى نزل القرآن بِقَضِيَّتها في سورة المجادلة.

وصفيّة بنت عبدالمطلب رضي الله عنها قتلت اليهوديّ وحدها في معركة الأحزاب حين تردّد حسان بن ثابت رضي الله عنه.

والخنساء برزت بشجاعتها وإيمانها وصبرها حين احتسبت أبناءَها الأربعة في سبيلِ الله، وبرزت بشعرها وبيانها.

نماذج رائعة تمتد في التاريخ الإسلامي يصعب حصرها هنا، وتكشف لنا هذه النماذج كيف أن من النساء المؤمنات من تفوّقن بالذكاء والعقل، أو الشجاعة والصبر، أو البذل في سبيل الله، أو العلم، أو البيان الرائع والأدب الكريم، أو الحكمة، أو الشعر، أو الفقه، أو في سائر ميادين الحياة. ولكنّهن كلّهن وضعن ذلك في سبيل الله على نهج واضح خاضع لمنهاج الله في حدود مابيّن الله لهنّ في شرعه، حتى يكون عملهنّ مساعداً ومتمّماً لعمل الرجل، فكُنَّ بذلك شقائق الرجال.

المرأة اليـوم في جميع أنحـاء الأرض في حـاجـة مـاسّـة لأن تعرف هـذه النماذج من النِّساء في تـاريخ الإسلام، لتكـون هذه النماذج قدوتها، بدلاً من نساء الحضارة العَلمانيّة.

الفصل الثالث
القضية الأولى[1]
للرجــل والمــرأة
في واقع المسلمين اليوم

جولة سريعة في واقع المسلمين اليوم تكشف لنا مظاهر كثيرة من الخلل والاضطراب والانحراف عن منهاج الله . لقد امتدت في بقاع كثيرة، حتى بدأ الناس يألفونها بعد إنكار، ثم يقبلون عليها بعد إدبار، ثم يعتادونها حتى تصبح عرفاً لدى الكثيرين، ثم يدافعون عنها ويصرّون عليها، ويتناسون المعروف الحق والأمر الثابت في دين الله . ثم يصبح هذا الخلل والاضطراب يمثل ضغطاً على فكر المسلم ونفسيته، حتى ينفذ إلى فكر الداعية فيعيد له الصياغة أو يحرفها، ويغيّر له المواقف والرؤية والاتجاه، إلا من رحم الله!

لقد جاء الغزو الغربي إلى العالم الإسلامي منذ قرون عديدة، يحمل معه حضارة صاغتها الوثنية الواضحة والشرك

(١) في مجلة «الشقائق» بقلم المؤلف – العدد الرابع .

المفضوح. جاء هذا الغزو بالجيوش الزاحفة والآلات المدمرة، وزهوة العلوم المادية والصناعية المتطورة. وجاء يحمل كذلك كل أنواع الفتنة وأشكال الفساد من انحلال وفجور، ومخدرات وخمور، وشعارات تموج فيها الزخارف والزينة: مساواة المرأة بالرجل في ميادين الفتنة والانحلال، العصبيات الجاهلية بمختلف ألوانها، انحلال الأسرة وتفكك روابط الأرحام، وكثير غير ذلك. وكان الضغط كبيراً والقوى العاملة منهم جادة وخطيرة، دخلوا من أبواب الحروب والاقتصاد والشركات والسياسة، وكذلك من أبواب العلوم. ولقد أصابوا بذلك نجاحاً غير قليل، فتسللوا الى أعماق واقع المسلمين.

كيف بلغوا ذلك؟! هل نضع اللوم كما اعتدنا على أعدائنا، ونبرىء أنفسنا، ونقول إنهم مكروا وخدعوا وكذبوا وغير ذلك من الاتهام الذي لا ننكر صدقه، ولكن هذا كله لاينهض ليكون المسوّغ الرئيس لما نحن فيه من ابتلاء وفواجع. ماكان لهم أن ينفذوا أبداً أو ينجحوا في مكرهم لولا أن الخلل في

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط: ٣) - حديث (رقم : ٢٣٣٣) وقال رواه عن عائشة رضي الله عنها أحمد وأبو داود والترمذي ، ورواه البزاز عن أنس.

النفوس كان أسبق، والداء فينا كان قد امتد، ففتح الأبواب مشرعة للزاحفين الجادين على الغافلين النائمين.

ما لي ألوم عدوّي كلما نَزَلَتْ
بي المصائب أو أرميهِ بالتّهم
وأدّعي أبداً أني البريء وما
حملت في النفس إلا سقطة اللَّمَم
أنا المَلُومُ! فعهدُ الله أحمله
وليس يحمله غيري من الأُمَمِ

نعم! نحن الملومون في ميزان الله، دون أن يسقط ذلك هول الجرائم التي يرتكبها المجرمون الظالمون في الأرض.

ولو تابعنا جولتنا في واقعنا لوجدنا أن مظاهر الخلل بين المسلمين تمتد حتى لاتكاد تحصرها قائمة. ولو أخذنا نعالج كل واحدة منها منفردة لطال الزمن دون أن نبلغ شيئاً أو ندرك نجاحاً. ولكن هناك قضايا كبرى ترتبط بها سائر القضايا الجزئية، ويكون علاجها في الوقت نفسه علاجاً لكثير من

القضايا الجزئية. إلى تلك القضايا الكبرى نود أن نلفت الأنظار، ونشحذ العزائم، ونوجه الجهود، ولتكون تلك القضايا الكبرى قاعدة للقاء القلوب المؤمنة والسواعد العاملة، ومنطلقاً إلى غيرها على نهج محدد مدروس، ودرب ممتد إلى الجنة.

إن القضية الكبرى التي نعرضها في هذه الكلمة، القضية الأولى التي تتعلق بها سائر القضايا الكبيرة الجزئية، القضية التي يدفع الخلل فيها إلى سائر أبواب الخلل، هي قضية الإيمان والتوحيد. إنها أخطر قضية في حياة كل إنسان، وأكبر حقيقة في الكون كله.

وقد يعجب أحدهم فيقول: هل نحن غير مؤمنين؟! سؤال متسرّع يدفعه العجب والحيرة والسهوة! لانناقش هذه القضية من حيث إنَّهم مؤمنون أو كافرون، ولكن نناقشها من حيث إن واقع المسلمين اليوم يشهد خللاً ظاهراً في تصوّر هذه القضية الكبرى، ويشهد تقصيراً كبيراً في الجهود المبذولة من أجلها ومن أجل الدعوة لها، ومن أجل الدراسة والنهج والتخطيط، لدى كثير من الدعاة والحركات والناس عامة.

إن هــذه القضيــة هي القضيــة التي بعث الله الأنبيــاء والمرسلين لأجلها، وهي القضيـة التي كانت محور الكتب المنـزلة من عند الله، والتي جاء القرآن الكـريم خاتماً لها ومصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه.

لقد بذلت جهود كبيرة لغير هـذه القضية، وامتد الزمن فما كـان النجاح كبيراً. ونظـرة الى بقـاع الأرض الممتدة حيث يمتـد معهـا الـدعـاة، فلـو أن جهـودهم كلهـا صرفت أولاً الى دعـوة النـاس إلى الله ورسـوله، الى الإيمان والتـوحيـد، لتحـولت تلك البقـاع إلى الإسـلام منـذ عهـد بعيـد. ولكـن الجهـود تشتتت وتفرقت وتصادمت.

لا ننكر أن هناك قضـايا آنية يفرض الـواقع الالتفات إليها وإعطاءهـا حقها. ولكن هذه القضايـا الآنية لا يجوز أن تعطل الـدعوة إلى قضيـة الإيمان والتوحيـد، حتى نربط الإنسـان أولاً بربه وخالقه، ثم نربطه بمنهاج الله، ثم تتكشف القضايا الآنية والأسس التي تقوم عليها.

كـــان بعضهم يعجب كيـف أن بعض النســـاء يسرعن

فيرفعن الحجاب كلما تغير الواقع أو دعا إلى ذلك داع . فلا عجب من ذلك، لأننا كنا ندعو المرأة أحياناً للحجاب بإلقاء «ماء النار» على السافرات، وبالتهديد والوعيد. ونسينا أن هذه المرأة كاسية عارية لأن الإيمان في قلبها اختل واضطرب، وأنها بحاجة أولاً إلى الإيمان والتوحيد لتنقذ نفسها من النار، ثم يأتي الحجاب وغير الحجاب بعد ذلك.

إن الخلل في تصور قضية الإيمان والتوحيد قد يمتد كثيراً في واقعنا، حين نرى بعض من يريد أن يدافع عن المرأة المسلمة وحقوقها، يذهب بعيداً ويغالي، حتى يكاد يأخذ حقوق المرأة المسلمة من الغرب ونماذج نسائها مثل «تاتشر» و «غولدا مائير»، ليبني على هذه النماذج حقوق المرأة في الإسلام، ثم يقول : (هل خابَ قومٌ ولّوا أمرهم امرأة من هذا الصنف النفيس)؟! نقول نحن : نعم خابوا وخسروا، لقد أصبح هذا الصنف من النساء نفيساً في ميزان بعض المسلمين، ولكنه غير نفيس في ميزان الله، في ميزان الإيمان والتوحيد وميزان منهاج الله!

ويرى بعضهم أنه يشعر بالخجل والحيرة حين يريد أن

يجادل أهل الغرب بحقوق المرأة وواجباتها في الإسلام: كقضايا ميادين العمل وقضايا الحجاب وغير ذلك. وكأن هذه القضايا هي التي يجب أن يبدأ بها مع أولئك القوم. ولو بدأ معهم بها أمر الله، بتبليغهم رسالة الإيمان والتوحيد، ودعوة تاتشر وجولدا مائير وغيرهما إلى دين الله الحق، إلى حقيقة الإسلام، ليسلموا ويؤمنوا ويخبتوا، إلى حقيقة الإيمان والتوحيد! لو فعل ذلك لكان أولى حتى ينقذوا أنفسهم من النار أولاً، فإن الله لايغفر أبداً أن يشرك به شيء أو أحد، ولكنه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء من عباده.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨]

لقد اختل الميزان واضطرب بأيدي بعض المسلمين، ولكن العجب العجاب حين يدعو بعض المسلمين إلى انطلاقة المرأة المسلمة في شتى الميادين دون أي حصر، ونرى الكافر الملحد الشيوعي يرى غير ذلك بعد أن مرّوا بالتجارب القاسية المرة. فاستمع إلى غورباتشوف ماذا يقول في كتابه: «البيروسترويكا»: (ولكن في غمرة مشكلاتنا اليومية الصعبة كدنا ننسى حقوق المرأة

ومتطلباتها المميزة المتعلقة بدورها أماً وربةَ أسرة، كما كدنا ننسى وظيفتها التي لابديل عنها مربية للأطفال. فلم يعد لدى المرأة العاملة في البناء والإنتاج وفي قطاع الخدمات وحقل العلم والإبداع، ما يكفي من الوقت للاهتمام بالشؤون الحياتية اليومية، كإدارة المنزل وتربية الأطفال، وحتى مجرد الراحة المنزلية، وقد تبيّن أن الكثير من المشكلات في سلوكية الفتيات والشباب، وفي قضايا خلقية اجتماعية وتربوية وحتى إنتاجية، إنما يتعلق بضعف الروابط الأسرية والتهاون بالواجبات العائلية)[١].

أليس هذا هو العجب العجاب حين نقارن بين مايقوله المسلم الذي يفترض أنه عاش مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتلا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿.. وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية﴾. مع قول «غورباتشوف» الشيوعي. ولابد من أن نسرع فنوضح هنا على عجل أن الآية الكريمة التي يردد فيها قوله سبحانه وتعالى: ﴿.. وقرن في بيوتكن..﴾ ليست خاصة بنساء النبي، ولا هي تحرم خروج المرأة إلى ميادين العمل التي أحلها الله لهن.

(١) غورباتشوف: البيروسترويكا: ص ١٦٦.

إن اضطراب الميزان بيد بعض المسلمين هو من أوضح مظاهر الخلل في التصور الحق لقضية الإيمان والتوحيد.

ومظهر آخر! فلو أخذت «عينة» (١) من المسلمين من واقع العالم الإسلامي، ودرست بالحوار أو بسواه أين ولاؤهم الأول، لوجدت أن الولاء الأول عند هذا لعائلته، وعند ذاك لوطنه، وعند الآخر لقضية ثالثة، وهكذا وينسى هؤلاء أنّ الولاء الأول يجب أن يكون لله وحده، ومنه ينشأ أيُّ ولاء في الدنيا ويرتبط به.

وكذلك العهد! نسي كثير من المسلمين اليوم أن كل إنسان هو على عهد ثابت مع الله الذي لا إله إلا هو، وأن هذا العهد وشروطه مفصلة في منهاج الله -قرآناً وسنة- وغاب عن بالهم كذلك أن كل عهد يقيمونه في الحياة الدنيا يجب أن ينبع من العهد الأول مع الله سبحانه وتعالى، ويجب أن يرتبط به، حتى يسمى عندئذ بهذا الارتباط «عهد الله».

إن هذه جولة سريعة بكلمة موجزة حول بعض مظاهر الخلل في القضية الكبرى -قضية الإيمان والتوحيد- ونوردها لتلفت النظر إلى أهمية بذل الجهود لها، جهوداً خالصةً لوجه

(١) أجازها المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية في القاهرة.

الله، نقية من شوائب الدنيا وعصبياتها الجاهلية، لتكون القاعدة الصلبة للدعوة الإسلامية وجوهرها، والهدف الثابت الأول لها، عليها ينهض كل فكر وتصور، ونهج وتخطيط، وبذل وعطاء، ولتكون كذلك قاعدة اللقاء وجمع القلوب وبناء الأمة المسلمة!

حين تعرف المرأة ربها وخالقها وتؤمن به حق الإيمان، وحين تدرس كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، ستعرف حينئذ حقوقها وواجباتها من دين الله، وتنطلق لتعلم نساء الغرب عظمة حقوقها في الإسلام. وكذلك الرجل له حقوق وعليه واجبات. وفي واقعنا اليوم اضطراب في واقع الرجل وواقع المرأة، بسبب تسلل الخلل إلى التصور والممارسة!

إن أيّ محاولة لإصلاح واقع المرأة يجب أن يبدأ بهذه القضيّة، قضيّة الإيمان والتوحيد، الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، والقضية الأخطر في حياة كلِّ إنسان، رجلاً كان أم امرأة.

يجب أن تُدْرَسَ نواحي الخلل في التصّور لهذه القضيّة الخطيرة في الواقع وتُحدَّد وسائل العلاج بما يناسب كلّ واقع.

وكل وسـائل العـلاج تنبع من منهـاج الله وترتبط بـه على ضـوء الخلل في الواقع وحـاجاته . ثـم يجمع هذه الوسـائل والأساليب نهج وخطة .

ويمكن أن نـوجـز أهم مظـاهـر الخلل في واقع المسلمين اليوم بنقاط محدّدة ، يمكن أن تزيد أو تنقص حسب كلّ حالة :

١ - عدم فهم معنـى الأُلوهيّة والـربوبيـة وعبوديّـة الإنسان من خلال الكتاب والسنة .

٢ - عدم وعـي حقيقة الإيمان والتـوحيد على أنها قضيّـة الفطرة التي فطـر الله الناس عليها ، وعـدم الاستفادة من فهـم هذه الفطرة في اختيار أساليب الدعوة والبلاغ .

٣ - اضطراب ممارسة معنى الولاء في الواقع اضطراباً كثيراً .

٤ - غيـاب مفهـوم العهد مع الله عنـد الكثيرين ليكـون العهـد الأول الذي تنبع منه سائر العهود .

٥ - لم يعد الحبُّ الأكبر في واقع الناس لله ولـرسوله . وإنما طغى حب الدنيا والمصالح والأوثان .

٦ - فلم تعد العهود بين الناس خاضعة لمنهاج الله ولا نابعة من العهد الأول مع الله، حتى لم يعد يصحّ تسميتها «بعهد الله»، عهد الله كما سماه الله في كتابه الكريم تكريماً له حين ينبع من العهد الأول مع الله ويرتبط به.

٧ - لم تعد قضيّة الإيمان والتوحيد قضيّة مفاصلة وحسم، وقضية تكاليف والتزام، ولا قضية مسؤولية وحساب، فماعت التصورات واضطربت.

٨ - لم يعد منهاج الله هو المصدر الأول لفهم هذه القضيّة وممارستها، وإنما دخلت تصورات فلسفيّة وحداثيّة شوّهت التصوّر كله، ودفعت بعض الناس إلى الشرك والكفر الصريح.

٩ - ضعفت اللغة العربيّة بين الناس، وحلّت لغات أخرى محلها لدى شعوب منتسبة إلى الإسلام، وضعفت منزلتها أيضاً لدى العرب أنفسهم.

١٠ - لقد أدّت هذه العوامل وغيرها إلى أن هجر بعض الناس كتاب الله وانقطعت صلتهم به. فضعف الإيمان واضطرب واختلط بتصورات أخرى.

١١ - أدّت هـذه العوامل كلهـا إلى ابتعاد مـلايين من المسلمين رجالاً ونسـاء عن حقيقة الدعوة الإسـلامية ونصرة دين الله، بعد أن أصبحوا «كمّاً» مهملاً، وغثاءً كغثاء السيل.

١٢ - امتدت الفتنة في واقع المسلمين وأصابـت الرجال والنساء سواء بسواء.

١٣ - وتـوالت الهزائم على المسلمين بعـد أن ضعف الإيمان وقلّ البذل وامتدت الفتن.

من دراسـة هذه النقـاط الموجـزة نـدرك أن الخطر أصـاب الـرجل والمرأة في وقت واحـد. ووجـد الصـالحون أن معظم الدروب مسـددة، ولكنّ الأمل الصادق والرجـاء الحق معقودان بالله سبحانه وتعالى.

ولابـد من دراسـة ونهج يسهّـل الخروج من هـذا الظـلام. وذلك يسير بإذن الله إذا صدقت النيّة والعلم والعزيمة.

الباب الثاني

يامعشر النساء

الفصل الأول
الاختـــــــلاط
والزيــارات العائليــة

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ [النور: ٣٠، ٣١]

عن أبي هـريرة رضي الله عنـه عن الـرسـول ﷺ أنه قـال :

«لاتمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرجن وهنّ تفلات»

[رواه أحمد وأبو داود]

لـو استعرضنـا واقعنـا الإسلامـي خلال القـرن العشرين على الأقــل، أو لفترة أقصر مــن ذلك، لرأينا أن بعض المسلمين اليوم يخالفـون نهج الله، ويقعـون في الإثـم، ويمتـدّ هـذا البـاطل حتى يعتاده النـاس ويصبح عرفـاً مألوفـاً لاينكره إلا القليل، ثم يـأخذ النـاس يدافعـون عنـه ويصرّون عليـه وينكرون أمـر الله والمعـروف الحق. فإذا وقع العقاب من عند الله واشتدّ البـلاء، قالوا أنّى هذا! ماذا فعلنا حتى نعذب هـذا العذاب؟! والجواب: قل هو من عند أنفسكم! قل: هو بما كسبت أيديكم! ولعذاب الآخرة أكبر!

هذه ظـاهرة جلية واضحة! والظـاهرة المَرَضيّة الأُخـرى هو أن معظم المسلمين يعتبرون أن المسئـوليـة تنحصر دائماً في السلطـان والعلماء، ولاينظـر أحد منهم في مسئـوليتـه هـو، وما حمَّلـه الله من أمانة سيحاسَبُ عليها يوم القيامة يوم لا يُغني أحد عن أحد شيئا:

﴿ يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

[الدخان: ٤١]

﴿ ... وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ... ﴾

[لقمان: ٣٣]

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٣]

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

[الأنعام: ٩٤]

وقال رسول الله ﷺ

« ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته . فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته . والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

[رواه أحمد والشيخان والترمذي وأبو داود](1)

فليس في الإسلام إنسان غير مسئول إلا المجنون ومن قصّر عن شروط التكليف الشرعي . ولقد فصّل منهاج الله مسئوليات

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني : حديث (٤٥٦٩). البخاري : كتاب الأحكام(٩٣). باب (١)، حديث (٧١٣٨). مسلم كتاب (٣٢)، باب (٥)، حديث (١٨٢٩). الترمذي : كتاب (٣٤)، باب (٢٧)، حديث (١٧٠٥).

كل إنسان حتى لايبقى لأحد حجة على الله يوم القيامة .

ولقد نسي عامة المسلمين ومعظمهم مسئولياتهم التي سيُحاسَبون عليها يوم القيامة بين يدي العزيز الجبّار. ويمضي المسلم في حياته كأنه في سكر أو خدر حتى يأتيه الموت، فلا فرصة بعدئذ لإصلاح خلل أو منكر.

ومع أننا نؤمن يقيناً أن أول أبواب العلاج هو تصحيح التصوّر الإيماني والتوحيد، وارتباط القلوب بخالقهاوربها الله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، فإننا في الوقت نفسه لا نتوقف عن استعراض هذا المرض أو ذاك من خلال الإيمان والتوحيد وردّ الأمور إلى منهاج الله .

والقضية التي نحب أن نطرحها اليوم، بعد أن طرحنا سابقاً حبَّ الدنيا والإقبال عليها، والعصبيات الجاهلية، هي قضية الاختلاط وما رافقها من اضطراب في التصوّر والممارسة في واقعنا اليوم، حتى غابت المسئوليات أو نسيها الناس، ولكن حساب

الله لايغيب وعقابه واقع، على سنن ربانية وحكمة غالبة.

والاختلاط الذي نعنيه هو اختلاط الرجال بالنساء في هذا الموقع أو ذاك، فهل الاختلاط حلال أم حرام، وما حدود المباح منه؟!.

١ - أنواع الاختلاط:

والاختـلاط أنـواع نعـرضهـا هنـا لتيسير التصـوّر وتحديـد البحث والدراسة، وبيان أحكامها:

أ - الاختلاط في الزيارات العائلية.

ب - الاختلاط في الأسواق والأماكن العامة.

جـ - الاختلاط في المدارس والمعاهد والجامعات.

د - الاختلاط في السفر والرحلات.

هـ - الاختلاط في مجالس العلم والقضاء والمساجد.

و - الاختلاط في الحروب والقتال.

٢ - الحكم الشرعي في إطاره العام:

لقـد وضع الإسلام أحكاماً عامة للاختلاط بمفهومه العام.

ومن هذه الأحكام جعل الإسلام سياجا ليحمي المجتمع الإسلامي من شرور الفتنة والفساد. كما تناول حالات خاصة وضع لها أحكاماً خاصة. فإذا حدث في مجتمع مظاهر جديدة للاختلاط لم تتناولها أحكام خاصة، فإنها تُرَدُّ إلى الأحكام العامة التي يجب تحقيقها والتزامها ويحرم الخروج عليها.

ومع أن بحثنا الرئيس هنا يدور حول نوع واحد من الاختلاط، وهو الاختلاط أثناء الزيارات العائلية. ولكننا نبدأ الآن بعرض أهم الأحكام العامة التي يدخل في دائرتها جميع أنواع الاختلاط.

أ – ١. غضّ النظر:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ

بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾

[النور: ٣٠، ٣١]

وتأتي أحاديث شريفة حول موضوع غضّ البصر من ناحية، وعدم إبداء الزينة من ناحية أخرى. ولعل قضية غضّ البصر واضحة لاتحتاج أي تفصيل. إلا أن تحريم إبداء الزينة يحتاج إلى توضيح. فما ذكرته الآية الكريمة يعرض نماذج من ذلك تمتد حتى الضرب بالأرجل: ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾! هذه تحتاج إلى وقفة من المرأة المسلمة لتدرك خطورة إبداء الزينة ولو كانت خافية في أصلها. والعطر وسائر أبواب الزينة داخل في ذلك. وجسد المرأة كله عورة، إلا الوجه والكفين على خلاف في ذلك. ولكن لباس المرأة المسلمة يجب أن يتصف بصفتين رئيستين حتى يكون مطابقاً لأحكام هذه الآية الكريمة. وهاتان الصفتان هما: أن لايشفَّ وأن لا يصف.

فلابد أن لا يكشف اللباس صدر المرأة ولاخصرها ولاعجزها ولا تفصيلات جسدها . وبغير ذلك لاتكون قد طبقت أحكام هذه الآية الكريمة. والمرأة هي التي تدعو بزينتها الرجال لينظروا إليها، ومن الزينة المعروضة تنطلق الفتنة ويمتد الفساد، وتكون المرأة نفسها أول الهالكين عند الله إن لم تتب.

أ. ٢ : مسئولية المراة :

ومسئولية المرأة محدَّدة في منهاج الله مفصّلة فيه. لامجال هنا لعدِّها وبيانها. ولكننا نشير إلى أهم المسئوليات التي وضعها الله في عنقها. فمن أهم هذه المسئوليات التي تحاسَب عليها يوم القيامة بين يدي العزيز الجبار، بعد مسئولية الإيمان والتوحيد، هي المسئولية التي تحملها في بيت الزوجية ورعايته ورعاية زوجها وأولادهما. ولقد مرَّ معنا الحديث الذي جاء فيه : « . . والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم. . . . »

إن مسئولية المرأة تجاه زوجها وأولادها وبيت الزوجية أعظم مسئولية وضعها الله في عنق الزوجة، بعد مسئولية الإيمان

والتوحيد. وحتى تنهض المرأة إلى هـذه المسئولية تنشأ مسئوليات أُخرى عديـدة نكتفي في هذه العجالة بـالإشارة إلى بعض منها. فأولها مصـــاحبة منهاج الله، قرآناً وسنة ولغة عربية، مصاحبة عمر وحيـاة، مصاحبة منهجيـة، تعينها على الوفاء بهذه الأَمانة العظيمة.

ثمّ تتوالى مسئولياتها في الحياة الدنيا على أَسـاس من منهاج الله الـذي صاحبتـه والتـزمته. إنها مسئولـة عن الدعـوة إلى الله ورسولـه، إلى الإيمان والتوحيـد في نطاق وسعهـا الصادق الـذي وهبهـا الله إيا ه، وفي ميـدانها الـذي حـدده الله لها، يصاحبهـا طهرهـا وعفتها وحيـاؤها، يصـاحبها حجـابها الذي تصـون به نفسها وتصون الأُمة كلها من الفتنة والفسـاد.

وهي مسئــولـة كـذلـك عن المسـاهمة في البنـــاء والتربيـة والإعـداد، وعن المساهمة في بنـاء الجيل المؤمن الـذي يمضي في الأرض، يجاهـد في سبيل الله، يحمل رسـالة الله إلى النـاس نـوراً وخيراً وصلاحاً. إنها مسئولـة عن المساهمة في بناء المصنع العظيم

الذي يتعهَّد ويربي ويبني ويدفع أجيال المؤمنين مدى الدهر كله، ليفيئوا إلى الإسلام منيبين خاشعين، وليجدوا الأمن والعدل والحرّية والإخاء حقيقة قائمة في الواقع، لا شعارات كشعارات الثورة الفرنسية، ولا كشعارات المنافقين في الأرض.

وهي مسئولة عن المساهمة بدورها الكريم في ميدان الجهاد في سبيل الله، بدورها كما حدده منهاج الله، لتسهم في نصرة دين الله وإعلاء كلمته في الأرض، لتكون كلمة الله هي العليا. ثم لتسهم بعد ذلك في عمارة الأرض ونشر حضارة الإيمان نوراً يملأ الأرض عدلاً وصلاحاً.

هذه هي الأهداف الربّانية الثابتة التي حدّدها الله في منهاجه، لتكون مسئولية كل مسلم قادر وكل مسلمة قادرة، وكل في ميدانه الذي حدّده الله له. هذه الأهداف الربانية الثابتة كما فصلناها في كتابنا لقاء المؤمنين الجزء الثاني، نوجزها هنا للإعادة والتذكير: الدعوة إلى الله ورسوله، والتعهد والتربية والبناء والإعداد، بناء الجيل المؤمن، الجهاد في سبيل الله، أن تكون

كلمة الله هي العليا، عمارة الأرض بالإيمان ونشر حضارة الإيمان.

هنـــا يتســـاوى الـرجـل والمرأة ليعمل كل منهما في ميدانه الـذي رسمه الله له، لتمضي المرأة في حجابها وعفافها وطهرها، هنا تكون المساواة في المسئولية التي وضعها الله أمانة في عنق الإنســـان، في عنق المرأة والـــرجل، يحاسَبُ كل منهما بين يدي العزيز الجبار يوم القيامة على أساس من منهاج الله

﴿ ... فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ق: ٤٥]

على هذا النحـو تكون المســاواة في أن الرجل مكلف من ربه وخالقـه بأمانة وتكاليف، والمرأة مكلفة كـذلك بأمانة وتكـاليف في ميـدانها المحدد وبشروطهـا التي شرعهـا الله لحمايتها وحماية الـرجل. ولا تكون المساواة في حرية كاذبـة باللهو والفاحشة والعري والفتنة والفساد.

مســـاواة المرأة والـــرجل في أن كـــلاً منهما يجب أن يخضع لأمـر الله، ودين الله! يتســاويــان في مسئـوليـة الإيمان والتوحيد، والعلـم والمعرفة، وممارسة منهـاج الله في الواقع لا في الأماني والشعارات فحسب.

ويظل البيت -بيت الزوجية- ميدانها الأول. فإذا أوفت فيه فإن الله فتح لها ميادين أخرى تدخلها داعية لله ورسوله، حاملة رسالة الله، مطبقة منهاج الله عن إيمان ويقين، وعلم صادق مبين. ولننظر الآن في أهم ميادين عمل المرأة المسلمة:

أ - ٣ : أهم ميادين المرأة في حياة الأمة:

ولنستمع إلى هذه الآيات الكريمة ولنخشع بين يديها ولنتدبر معانيها:

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ

اللهِ وَالحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيراً ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٠ - ٣٤]

يبـدو أن الخطأ الشـائع بين عـامـة المسلمين في فهم هـذه الآيات، كان فيما يتعلق بالآية: ﴿ .. يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ.. ﴾، أي فيما يتعلق بالآيتين ٣٣, ٣٤، فحسب بعضهم أن ابتداء الآية بقوله تعالى: ﴿ .. يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ.. ﴾، حسب بعضهم أن هذا الابتـداء يعني أن التكـاليف الشرعيـة التـاليـة للخطـاب هي تكـاليف خاصـة بنسـاء النبي. وهذا خطأ كبير، فجميع هـذه التكـاليف هي تكـاليف شرعيـة لكل امرأة مسلمـة: التقـوى، عـدم الخضوع بـالقول، القـول المعـروف، قرن في بيـوتكن، ولا تبرَّجْنَ. . . .، وأقمن الصــلاة، وآتين الــزكـاة، وأطعن الله ورسوله، واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة. . !

إذن ماهـو تميّز نسـاء النبيّ الذي تشير إليـه الآية: ﴿ .. يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ .. ﴾؟ إن التميّـز هــو بعظم مسئوليتهنّ كـأمهـات المؤمنين، ممـا يترتب عليـه عقـوبـة أكبر

﴿ ... يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ... ﴾ إذا خالفن هذه التكاليف أو نقضنها أو قصّرن فيها تقصيراً يوجب العقوبة. وكذلك بمضاعفة الأجر إذا اتقين وأدين هذه التكاليف: ﴿ ... نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا... ﴾. إن النصّ القرآني: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾، هو استمرار وامتداد لنصّ الآيتين السابقتين (٣٠، ٣١) اللتين تبرزان تميّز أُمّهات المؤمنين عن سائر المسلمات. وتميّز آخر لنساء النبيّ تبرزه لنا الآيات الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

[الأحزاب: ٢٨، ٢٩]

هذا التميز هو الزهد في الحياة الدنيا، والإقبال على الآخرة، في بيت النبوّة القائدة التي يتمثل في حياتها أعلى نموذج للزهد في الحياة الدنيا وحدوده وميادينه، وأعلى نموذج للإقبال على الدار الآخرة، والانطلاق في الحياة الدنيا إلى ميادين الدعوة والجهاد في

سبيل الله، والانصراف عن كثير من المتع المباحـة لعامة المسلمين، لتكون النبوة، وليكون بيتهـا المثل الأعلى للمسلمين مدى الدّهر في الزهد بالحياة الدنيا، وبالإقبال على الدار الآخرة، وبالقيام بالأمانة التى جعلها الله للإنسان في هذه الحياة الدنيا، وبالعبادة التي خُلِق الإنسان لها، والخلافـة التي جعلها الله لـلإنسان على الأرض، من خلال الابتلاء الذى كتبه الله على بني آدم.

من هذا التميّـز تبرز المسئولية العظيمـة لبيت النبوة، ويصبح لأزواج النبي منزلة خاصة:

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِـالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُـهُ أُمَّهَـاتُهُمْ ... ﴾

[الأحزاب: ٦]

نعم، وأزواجه أُمهـاتهم! منـزلـة خـاصـة بهنّ تُلْـزِمُهنّ أن يعشن حيـاة النبـوّة بما فيها من تقشف وشـدّة، وتقـوى وعلم، وبذل وجهاد.

لذلك جاءت الآيـة الكريمة: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ... ﴾

فالتكاليف التي تلت بعد ذلك هي عامة لجميع النساء المؤمنات، واجبة عليهن جميعاً. ولكن نساء النبيّ ينهضن إلى نفس التكاليف بعزيمة أشد، بعزيمة أُمهات المؤمنين، حتى يكون لهن الأجر ضعفين، وقد أعد الله لهن رزقاً كريماً.

فلا يحسبنّ أحد أن الأمر: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ هو خاص بنساء النبيّ. ولو صحّ ذلك لأصبحت إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرهما خاصة بنساء النبيّ، وهذا يخالف نصوص القرآن والسنة.

ثمّ تأتي بعد ذلك الآيات الكريمة التي تثبّت التكاليف على كافة المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات. وتظل التكاليف دائماً خاضعة للوسع الصادق للإنسان، لا الوسع الكاذب الذي يدّعيه المتفلّت أو المتفلتة بأهوائها. وكذلك على المسئولية والأمانة التي يحملها كل مسلم ومسلمة:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ

وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]

وهكـذا تمتدّ التكـاليف الشرعيـة في منهاج الله على وضـوح وبيان، وجـلاء وتحديد، ومسئـولية وأمـانة، حتى لايبقـى عذر لأحد. **وهكذا تكون المساواة بين الرجل والمرأة في الالتزام بمنهاج الله لافي التفلت منه.**

إن الـذي يريـد أن يعرف مسئـوليتـه لن يعجز أبـداً. فإنها مجلوّة في منهاج الله الذي يسره الله للذكر:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

[القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠]

تأكيـداً لهذه الحقيقة العظيمـة، وتكراراً لها أربع مّـرات في سورة واحدة، ويتأكد المعنى على صور أخرى في سور أخرى.

إنها ميـادين واسعـة للمـؤمنـات المسلمات القـانتـات الصـادقـات الصـابـرات الخاشعـات المتصـدّقـات الصـائمات الحافظات فروجهن الذاكرات الله كثيراً فلهن مغفرة وأجر عظيم.

أ – ٤ : قرار المرأة في بيتها :

لقد سبق أن أوضحنا أن أهم مسئولية للزوجة بعد مسئولية الإيمان والتوحيد ، وبعد مصاحبة منهاج الله صحبة عمر وحياة ، هي رعاية بيت بعلها وأولاده . وقد اختلط على كثير من الناس معنى هذه المسئولية ، كما اختلط عليهم مفهوم قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُن ﴾ ، حتى حسب بعضهم أن البيت سجن للمرأة لايحل لها الخروج منه أبداً . إن الإسلام جعل من بيت الزوجية مودة وسكناً ، جعله روضة وسعادة ودنيا ممتدة . ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُن ﴾ أمر عام لجميع المسلمات في حدوده الشرعية العملية .

إن الإسلام الذي كرّم المرأة كلَّ التكريم ، وحافظ على شرفها وسائر طاقاتها لتكون قوة عاملة في بناء الأُمة المسلمة الواحدة ، وفي نشر دعوة الله وتحقيق معاني الأَمانة والعبادة والخلافة في الأَرض ، لايمكن أن يحجر على المرأة ويسجنها . فالأَمر من عند الله لم يكن فقط : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُن ﴾ ، ولكن تلا ذلك الأَمرُ بعدم

التبرُّج، والتبرّج لايكـــون إلا عنــد الخروج مـن البيت: ﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ.. ﴾

فالإسلام يريد المرأة المسلمـة ألاّ تكون مصدر فتنة وشهوة، ومصدر فسـاد وإثارة، وسبـب هوان الأُمـة وضياعهـا، وامتداد الجريمـة والفاحشـة والموبقات. كـلا! إن الإسـلام يريـد المرأة المسلمـة القـويـة بإيمانها، العـارفة بـدينهـا، الـواعيـة لكـامل مسئولياتها في الحياة تؤديها، وتؤدي رسـالتها في الحياة، رسالتها التي خُلِقتْ لها والتـي ستحـاسب عليهـا، رسالتها في البيت وخـارج البيت، رسالتهـا التي تنطلق من صدق إيمانها وصفـاء توحيدها، ومصاحبتها لمنهاج الله.

لذلك أحاط الإسـلام المرأة بالرعايـة والعناية في كلّ شأنها، وخاصة عند خروجها من البيت خروجاً مباحاً:

فعن أبي موسى الأشعـري عن الرسـول ﷺ قال: «أيما امرأة استعطـرت ثم خـرجت، فمـرّت على قـوم ليجـدوا ريحهـا فهي زانية، وكل عين زانية» [رواه أحمد والنسائي ومالك] (١)

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته - للألباني - ج (١). (ص: ٣٩١). حديث (٢٦٩٨).

وعن أبي هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال : «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد العشاء الآخرة»

[رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي] (١)

إذن خروج المرأة من بيتها أمر مباح مادام خروجها يمثل جزءاً من رسالتها في الحياة كما رسمها لها الإسلام، وتظلّ مسئوليتها الأولى بعد مسئولية الإيمان والتوحيد هي رعاية بيت بعلها وولده. وتأتي المسئولية الثالثة بعد ذلك : ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.. ﴾ ، وتأتي المسئولية الأُخرى أن تصاحب منهاج الله مصاحبة عمر وحياة : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ... ﴾ . وتوالت الأدلة الشرعية في منهاج الله على جواز خروج المرأة من بيتها وهي تشعر أنها تحمل رسالة وأمانة ومسئوليات حدَّدها لها منهاج الله :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال : «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرجن وهن تفلات»

[رواه أحمد وأبو داود] (٢)

(١) المرجع السابق (ص: ٣٩١) . حديث (٢٦٩٩).
(٢) تفلات : غير متعطرات . صحيح الجامع الصغير (ج: ٦) (ص: ١٨٣).

وفي رواية أخرى لمسلم عن ابن عمر: «. . اذا استأذنكم . »

وفي روايـة أخـرى لأحمد وأبي داود ومـالك عن ابن عمـر : «. . . . وبيوتهنّ خير لهنّ» .

ولنتدبّـر هذا الحديث الشريـف وما يحوط بـه المرأة المسلمة من رعاية وحماية وتوجيه :

عن أُمّ سلمـة رضي الله عنهـا عن الـرسـول ﷺ أنـه قـال : «صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها»

[رواه مالك ورواه أبو داود عن ابن مسعود](١)

ولا ننسى التـوجيه الـرباني في سـورة النور: **﴿ولايضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾**

فحين أمر الله المرأة المسلمـة أن تقرَّ في البيت، فـذلك لأداء رسالتها والـوفاء بأماناتهـا المرتبطة في البيت ، وحين أباح الخروج فقد أباحه للوفاء برسـالتها وأداء أمانتها خارج البيت، وأحاطها

(١) حجرتها : صحن الدار، والبيت داخله . المرجع السابق . (ج : ٣) . (ص٢٥٧) .

عند الخروج بالعناية والحماية والصون ، لتظلّ المرأة المسلمة عزيزة طاهرة، خاشعة لله مجاهدة في سبيل الله في كل أحوالها. قلبها معلق بالجنّة، تدرك أن الحياة الدنيا تنتهي بالموت، وأن بعد الموت بعثاً فحساباً فجنّة أو ناراً.

أ – ٥ : الخلوة :

والخلوة هي أن ينفرد الرجل بامرأة أجنبية عنه. وذلك محرّم تحريماً قاطعاً، إلا إذا كان على ملأ من الناس وأعينهم لضرورة شرعية مما يقطع صفة الخلوة ومعناها وفتنتها :

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

«لايخلونّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم. . . . .»

[رواه البخاري ومسلم](١)

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : «إياكم

---

(١) البخاري : (٥٦/ ١٤٠/ ٣٠٠٦)، مسلم : (١٥/ ٧٤/ ١٣٤١).

والدخول على النساء» . فقال رجل من الأنصار. أفرأيت الحمو؟

قال ﷺ : «الحمو الموت» [رواه البخاري ومسلم][1]

فالخلـوة باب فتنة واسع . امتـد خطره في الـواقع الإسلامي حين أصبحت العـادات هي التي تحكم أكثر ممـا يحكم شرع الله الذي جهله الناس أو كثير منهم .

أ – ٦ : السفر :

وحـرص الإسلام على رعـاية المرأة في سفـرها أيضـاً، حتى تظل موضع تكريم المجتمع ورعايته :

فعن أبي سعيـد رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال : «لايحل لامرأة تؤمن بـالله واليوم الآخـر أن تسـافر سفـراً يكون ثـلاثة أيـام فصاعداً إلا ومعهـا أبوها ، أو ابنها ، أو زوجهـا ، أو أخوها ، أو ذو محرم منها». [رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه][2]

(١) البخاري : (٦٧/ ١١١/ ٥٢٣٢). مسلم : (٣٩/ ٨/ ٧٢/ ٢١٧٢).
(٢)صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج : ٦). (ص : ٢٢٢) حديث : ٧٥٢٦).

ويأتي هذا الحديث بروايات أخرى صحيحة تؤكد المعنى ذاته. والهدف من هذه الرعاية هو توفير الأَمن والحماية للمرأة في سفرها. ولذلك أجاز بعض العلماء سفرها مع غير ذي محرم إذا كان هنالك جمع من النساء تؤمن معهنّ الفتنة، أو رعاية وحماية من الأُمة توفّر الأمن وتقطع الفتنة.

أ – ٧ : السؤال من وراء حجاب :

ولقد جاء هذا الأَمر خاصاً بنساء النبيّ :

﴿ ... وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾

[الأحزاب: ٥٣]

وإذا كان هذا أمراً خاصاً بأزواج النبيّ وبصحابة رسول الله ﷺ، وهم حيث نعلم من درجة تقواهم، فنحن أولى اليوم بأن نأخذ بهذا التوجيه الرباني، من حيث المبدأ، إلا في حدود ماتفرضه الضرورة الشرعية التي يبيحها الإسلام، كما قد يحدث في مجلس علم أو ساحة قتال أو غير ذلك.

● ● ● ●

هذه هي موجز التوجيهات العامة التي جاء بها الإسلام تكريماً للمرأة المسلمة وإعزازاً لها وحماية لها .

ونستطيع الآن أن ندخل في جانب من جوانب الاختلاط التي تشهدها مجتمعاتنا اليوم، وهو الاختلاط في الزيارات العائلية .

٣ - الاختلاط في الزيارات العائلية:

إننا لانتحدث هنا عن الاختلاط المتفلّت الذي لايلتزم بقواعد الحجاب واللباس والزينة، ولا يلتزم بما سبق أن عرضناه سابقاً، فهذا الاختلاط محرّم تحريماً قطعياً وفيه إثم ومعصية، ونتائجه فتنة وفساد في الأُمة. هذا الاختلاط ليس هو موضع بحثنا لأن حكمه ظاهر قطعي .

إنما نبحث في الاختلاط الذي قد يقع ويجمع نساءً مسلمات محجبات بالحجاب الشرعي، مؤمنات بالله واليوم الآخر، ومعهن أزواجهنّ أو أقرباؤُهن المسلمون المؤمنون بالله واليوم الآخر. وكلهم -رجالاً ونساءً- يقيمون الصلاة ويؤتون

الزكاة ويطيعون الله ورسوله . فإذا لم تتوافر هذه الشروط الرئيسة فما فائدة الحديث عندئذ وما قيمة إطلاق حكم شرعيّ لمن لايؤمن بالحكم الشرعي ولايلتزم به .

فعلى ضوء ما عرضناه موجزاً نرى أن الحكم الشرعي للاختلاط في الزيارات العائلية محرم كذلك . للأسباب الآتية :

أ - لم يرد في حياة الرسول ﷺ ولا في حياة الصحابة أن اعتاد المجتمع المسلم مثل هذه الزيارات العائلية المختلطة ، التي تصبح عادة وعرفاً يشتهر في المجتمع .

ب - إن الاختلاط في الزيارات العائلية التي تأخذ حكم العادة والاستمرار تتعرض لنوع من الألفة تنمو مع الأيام ، وتؤدي إلى حرية أوسع في الكلام والمزاح واللهو ، مما قد يؤدي إلى فتنة وفساد .

جـ - إن هذه المجالس يتعذّر فيها تطبيق الحكم الشرعي الثابت بنصّ القرآن وَالسنة ، وهو غضّ البصر . فكيف يمكن غض البصر في جلسة تطول ويمتد فيها الحديث ، وقد يتحوّل إلى لهو ومزاح وضحك وصخب .

د - إن هذه المجالس، مهما رافقها مـن حرص ، فقد يتعذّر على المرأة إخفاء كامل زينتها كما أمرهـا الله سبحانه وتعالى . فقد يصبح الـوجـه مصدر زينـة لتكـرر اللقاء، وقـد يصبح صـوتها كـذلك عــورة ومصـدر فتنـة لاتملـك المرأة إخفـاءه ، ولايملك الـرجل أن يـدفع عن نفسه التأثر به . وهذا كله يفتح أبواباً واسعة للشيطان يدخل منها لقلب الرجل وقلب المرأة .

هـ - إن هذه المجالس، حين تأخذ صفة العادة، قد تجعل من بعض حـركات النســاء التي لابـدّ منها مصـدر فتنة وكشفـاً لبعض الزينة مما يورث الإثم والمعصية على الرجل والمرأة .

و - إن هـذه المجـالس لا تمثّل حــاجـة شرعيـة للمـرأة أو الـرجل . فهي لاتسـاعد المرأة على أداء أمـانتهـا التي خلقت لها والتي سيحاسبها الله عليهـا يوم القيامة، ولا هي تسـاعد الرجل كذلك . فما هي الحاجة الشرعية لها ؟

فــالإســلام يحرص على تسهيل السبل وتــوفيرهـا للمــرأة وللــرجـل، ليــؤدّي كل منهما رســـالتــه التـي خُلِقَ لها والتي سيحاسَب عليها يوم القيامةبين يدي العزيز الجبّار .

فالمرأة التي تريد أن تهبط بنفسها وتتخلى عن رسالتها في الحياة، والرجل الذي يهبط بنفسه ويتخلى عن رسالته في الحياة، هذه المرأة وهذا الرجل لن يفيدهما الحكم الشرعي وقد غلب عليهما الهوى واللهو.

لقد سبق أن أوضحنا أن الله سبحانه وتعالى عندما أمر النساء: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فذلك لأداء رسالتهن في البيت والوفاء بمسئوليتهن الأولى التي حددها حديث رسول الله ﷺ: «.. والمرأة راعية في بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنه...» وعندما قال سبحانه وتعالى: ﴿... وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ....﴾، فقد أذن للمرأة بالخروج بإذن زوجها، كما بيّنت السنة، لتؤدي رسالتها كذلك خارج البيت ملتزمة بجميع القواعد الشرعية التي سبق إيجازها: فهي تصل الرحم، وتعود المرضى، وتطلب العلم، وتجاهد إن استدعى الأمر وجودها، وغير ذلك مما أباحه لها الإسلام لتؤدي رسالتها. فإذا تبرّجت تبرّج الجاهلية الأولى، وتعطرت، وخلعت الحجاب، لم تعد تؤدي رسالة ربها، ولكنها تتبع خطوات الشيطان وفتنة الناس.

لــذلك يمكن أن يُبــاحَ هــذا الاختـلاط بين العــائلات والأرحام والأقارب إذا التزم بالشروط التالية :

أ - أن يكـون لقاءً عـارضـاً دعت إليـه الحاجة والمصلحـة الشرعية .

ب - أن لايأخذ صفة الاستمرار والمداومة والعادة .

جـ- ان يلتزم حتى في اللقاء العابر بالشروط السابق ذكرها .

وإن من أهم المصـالح التـي قـد تبيح مثل هـذا الاختـلاط الملتـــزم مجالـس العلم ، على أن يكون هنالك فصل بين الرجال والنسـاء ، أو العـالم والنسـاء ، واتخاذ الحيطـة التي تمنع الفتنـة حسب الوسائل المتوافرة في كلّ واقع .

٤ - سنن الله في تاريخ الإنسان:

بـاستعـراض تاريخ الأمم والشعوب في الأرض ، نستطيع أن نتابع بعض سنن الله في الحياة الدنيا . وحين نفعل ذلك يجب أن نتذكر دوما أن الله قد بعث في كل أُمة رسولا:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾ [النحل: ٣٦]

وآيات أخرى تؤكد هذه الحقيقة الربانية وتبرز لنا رحمة الله وعدالته.

ففي تاريخ اليونان نجد أن اليونان بلغوا أوج قوتهم حين كانت المرأة يحوطها العفاف وتحتل منزلة التقدير والاحترام، وحين كان الحجاب شائعاً في البيوتات العالية، وحين كانوا يبنون بيوتهم على قسمين: قسم للنساء وقسم للرجال(١). وما كان النساء يشاركن في المجالس والأندية المختلطة، ولايبرزن في الأماكن العامة. ولما انحرف اليونان عن ذلك وغلب العري والاختلاط وكشف الزينة وانتشار الزنا وكثرت العاهرات بدأ هبوط اليونان حتى انتهوا وسقطت حضارتهم.

وفي الرومان دارت الدورة ذاتها. فحين كان للرجل قوامته

---

(١) كتاب ضرورة الفصل بين الجنسين لحسن زكريا فلفل (ص: ١٠) ينقل هذه المعلومات عن الأستاذ أبي الأعلى المودودي.

على البيت، وحين كـانت المرأة في عفتهـا يحميهـا المجتمع، بلغ الرومان قوة وبنوا حضارة. حتى إذا غلب الفساد والشهوة والزنا وشـاع الاختلاط في المسـابح والأماكن العـامة وغيرهـا، انهارت الحضـارة الرومـانية. ويكـاد يجمع علماء التاريخ أن الانحـلال الخلقي كـا ن من أهم أسباب سقـوط الامبراطوريـة الرومـانية. والاختلاط كان من أبرز مظاهر فساد الأخلاق.

وهذه الحضارة الغربية اليوم نشهد فيها ماتنشره هذه الحضارة من فسـاد وفتنة وجـرائم، ونظـام عـالمي لايرعى إلاّ ولا ذمـة، ونشهد كـذلك بوادر انهيـار دولها وانهيار حضـارتها. وسنن الله تتبين في دراسة التاريخ على فترات طـويلة لتحمل العبرة والعظة المؤثرة.

إن الحضارة الغربية اليوم جمعت من الكبائر والآثام والمعـاصي مـالم تجمعـه حضـــارة سابقة. لقد عاقب الله أقواماً سـابقين لمعصيـة استقـرت فيهم. فمنهم من عـاقبـه الله بسبب جـريمـة اللـواط، أو بسبب نقص المكيـال والميـزان، أو بسبب

الأوثـان والأصنـام، وغير ذلك من ألـوان المعـاصي التي دفعت بهم مع استمرارهـا إلى الكفر الصريح . ولكن الحضارة الغـربية جمعت اليوم كلّ أنـواع المعاصي التي عـرفتها البشرية في تـاريخها الطويـل . وكان من أكبر هـذه المعاصي إنـزال المرأة بالقـانون إلى وحول الفتنـة والفاحشـة، وتجريدها من قيمهـا وكرامتهـا . فلا نظن إلا أن عقاب الله نازل بهم . فهـذه سنة الله الماضية في الحياة الدنيا .

﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾ [العنكبوت: ٤٠]

أمـا الإسلام فقد نظر إلى المرأة نظرة أُخرى . إنها أَمَةُ الله تحمل هي أيضـاً رسالـة الله، وتحمل مسئـوليـة الوفـاء بـالأمانـة التي حـمَّلها الله إيـاها وبيّنهـا لها وفصَّلها في كتـابه الكـريم . فالمرأة المسلمة حين تكون في بيتها فهي تحمل رسالـة الله تؤديها برعايتها

(١) كتـاب ضرورة الفصل بين الجنسين لحسـن زكـريـا فلفل (ص: ١٠) ينقل هـذه المعلومات عن الأستاذ أبي الأعلى المودودي .

لبيتهـا كما أمرهـا الله، وإن خـرجت فإنها تخرج وهي تحمل نفس الرسالة والأمانـة، تخرج على نهج محدَّد جليّ فصّله كذلك منهاج الله لتؤدي جانباً محدّداً من الأمانة التي تحملها .

وبذلك رفع الإسلام المرأة إلى درجتها الحقيقية الكريمة، وأحاطهـا بعنايتـه ورعايتـه، وأعزّهـا بعد ذلّ . ومـا وجدت المرأة مايحفظ لها كرامتها على مدار التاريخ البشريّ إلا في الإسلام، وما عداه فقد أذلها ودفعهـا دفعاً إلى أحط درجات الفـاحشة والفتنة . وما رضي بذلك إلا من فسدت فطرته وضلّت طريق الرشاد .

هكـــــــذا ينظر الإسلام إلى المرأة فيعلي شأنها حين يطالبها بالإيمان والتـوحيد كما يطالـب الـرجل، ثم يمضي تكريم المرأة في الإسلامْ بما يُحَـمِّلُها من أمانة عـرضنا طرفاً منهـا في الصفحات السابقة، ويعرض تفصيلاتها منهاج الله . ولكننا نحن اليوم هل رعينـا المرأة كما يأمرنا الإسـلام؟! هل وفّرنـا لها ما يأمـر بـه الله ورسوله؟!

حين نخاطب المرأة اليوم ، فإننا نطلب منها الحجاب أولاً ثم الصـلاة والشعـائر كلهـا ولا نـدري حين تستجيب -إن

استجابت– هل استجابت رهبة من سلطة الوالدين أو الدعاة أو غير ذلك؟! أم استجابت طاعة لله ولرسوله.

في واقعنا اليوم قد نجد نماذج من هؤلاء وهؤلاء. وفي كثير من الأحيان لانقدّم لها الدعوة الحقيقية إلى الإيمان والتوحيد، إلى الله ورسوله، معتقدين أن ذلك ترثه وراثة، أو نفترض أنها مسلمة كغيرها من الملايين «التائهة» في المجتمع.

هل بنينا البيت الذي يحتضن الفتى والفتاة فيقدّم لهما جوهر الإيمان الحق لينشآ عليه. هل بنينا البيت الذي يعلم الفتى والفتاة أن أخطر قضية في حياتهما هي قضية الإيمان والتوحيد، وأنها أكبر حقيقة في الكون؟! هل بيّنّا لهما حقيقة الألوهية والربوبية وحقيقة عبودية الإنسان لربه وخالقه، وأن الولاء الأول لله وحده، ليس للأبوين ولا للعائلة ولا للأرض، وأن كل ولاء وموالاة بعد ذلك تنشأ من الولاء الأول لله، وأن العهد الأول مع الله، ومنه يجب أن ينبثق كل عهد في الحياة الدنيا، وأن الحب الأكبر هو لله ولرسوله، ومن هذا الحب

الأكبر ينشأ كل حب في الحياة الـدنيا : حب الوالـدين وبرّهما ، حب المؤمنين وموالاتهم؟! هل بيّنّا لأبنـائنا في البيوت دور منهاج الله في الحيـاة؟! هل عرّفنـا الفتى والفتـاة مسئولياتهما في الحيـاة الدنيـا من خلال الأسرة والبيت ، مسئـولياتهما التي سيحـاسَبان عليها يوم القيامة؟!

هل أعددنـا البيت الذي يحتضن الأبنـاء، ويدفع للسـاحة أجيال المؤمنين، أم انصرف الـوالدان للدنيـا وحطامهـا، ولهوها ولعبها، يجمعـان عرضاً زائلاً ، ثـم يُعطيان بقية أوقـاتهما المنهكة المقتولة ليكتفيا بالقـول لأبنائهم: «صَلُّوا وإلا ضربناكم. . .»، ولبنـــاتهم: «تحجَّبْنَ، وإلا آذيناكن. . .»؟! وهما لايدريان من أمر الإيمان شيئا، ولا من أمر الدين؟!

هل كانت بيوت المسلمين مدرسة تعدُّ أجيال المؤمنين فتياناً وفتيات ليتزوَّدوا من البيت بـأطيب زاد وأوفر عتاد، وليُسهموا في نصرة دين الله ، وليعرفوا طريقهم الحق إلى الجنة؟!

حين نُعدُّ هـذا البيت ستخرج الفتاة محجبـة لأنها هي تؤمن بذلك بعد أن عرفت ربها وآمنت به وأسلمت إليه .

فإذا لم يتوافر هذا البيت على هذه الصورة الإيمانية، فهلاّ هبّ الدعاة ليسدّوا هذه الثغرة الواسعة، الثغرة الكافية ليدخل منها كل أعداء الله يهدّمون الأُمة كلها؟! أم شُغل بعض الدعاة بالخطابة والعرض الزائل وحبِّ المناصب والرياسة، والسمعة والشهرة، وتركوا أَجيال المسلمين تعيش على الشعارات.

إن السبيل لدفع أَذى الاختلاط هو توفير الغذاء النقيّ ليدخل البيت فيملأه نوراً وخيراً، كما تدخل الكهرباء والماءإلى البيت! إذا لم ينزل العلماء والدعاة إلى ميدان البناء والإعداد والتدريب فمن يقوم لذلك إذن؟.

إنها مسئولية الدعوة الإسلامية والدعاة، ومسؤولية كلِّ مستوى، وكذلك مسئولية كل مسلم حسب مستواه الذي هو فيه، ليسهم في إعداد البيت المسلم وتوفير الغذاء اللازم له، كما أسهم في توفير الزاد المادّي من الكهرباء والماء والغاز وغير ذلك.

من هذا البيت تخرج الفتاة إلى الحياة تعرف مسئولياتها وواجباتها تَعَبُّد الله بالوفاء بها، تعرف مسئولياتها وواجباتها من

منهـاج الله، فتضع نهجها وخطتهـا على أساس من منهـاج الله والواقع الذي تعيش فيه.

هكـــذا يتــوقف الاختــلاط الحرام. فإن وقـع خطأ سهل العـلاج وسهلت التـوبـة والاستغفار والإنـابـة، دون أن يمتـدّ الاختلاط إلى فتنة وفساد.

عندما يصبح البيت والمعهـد والمسجد والمؤسسات الإيمانية تسهم كلهـا في عمليـة البنـاء والإعــداد والتـدريب، والتربيـة والإشراف والمراقبـة، عنـدئذ نجـد الفـرصـة الأوسع لانضبـاط الفتى والفتاة على منهاج الله قرآنا وسنة ولغة عربية.

الفصل الثاني
مع الحديث الشريف
« يامعشـــر النســـاء . . . »

عن عبدالله بن عمر عن الرسول ﷺ أنه قال :

« يامعشر النســاء ! تصدَّقن وأَكثرن الاستغفار فإني رأيتكنّ أكثر أهل النـار ، إنكنّ تكثرن اللعن وتكفـرن العشير ، مارأيت من نـاقصات عقل ودين أغلب لـذي لبٍّ منكنّ ، أما نقصـان العقل فشهـادة أمـرأتين تعـدل شهـادة رجل ، فهـذا نقصـان العقل ، وتمكث الليالي ماتصلي وتفطر في رمضان ، فهذا نقصان الدين » . [رواه مسلم وابن ماجه][1]

وعن زينب امرأة ابن مسعود :

« يـامعشر النسـاء ! تصـدَّقن ولو من حُليكنّ فإنكنَّ أكثـر أهل جهنّم يوم القيامة »

[رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم][2]

(١) رواه عن أبي هريرة أحمد ومسلم والترمذي وعن أبي سعيد رواه أحمد والشيخان . وجاء في المشكاة برقم (١٩) ، وفي الإرواء (١٩٠) . (٢) وجاء في المشكاة برقم (١٨٠٨) ، وفي الإرواء (١٩٠) .

كثر الكلام والجدل في الآونة الأخيرة حول موضوع هذا الحديث الشريف . وتناولته المنابر في المساجد وبعض الصحف والدراسات ، وغلب على هذا كله الاتجاه إلى أن هذا الحديث الشريف هو تحقير للمرأة وإنقاص من قدرها ومنزلتها ، وألحَّ الكثيرون بهذا الاتجاه .

لقد سمِعت النساء المؤمنات هذا الحديث أيام النبوة الخاتمة وما تلاها من عصور الخلفاء الراشدين ، فما وجدت النساء في هذا الحديث ، ولا وجد الرجال تحقيراً للمرأة وإنقاصاً من قدرها ومنزلتها ، فلماذا ضجَّ اليوم بعض الناس حول هذا الحديث ، لينكرَه فريق يحسب أن الحديث يُنقص من قدر المرأة ويحقِّرها ، وليثبته آخرون مقرين بتحقير المرأة ، فلا هؤلاء أصابوا ولاعدلوا ولا أولئك . والحديث صحيح عادل حق !

إننا نعتقد أن سبب اضطراب فهم الحديث هو ماتسلل إلينا من الحضارة المادية الغربية أو الشرقية من مساواة المرأة

بالرجل ، وإباحة العلاقات على ضوء ذلك ، وإطلاق الحرية الفردية في لهيب وجنون . والغرب في حقيقته لم يساو بين المرأة والرجل مساواة عادلة ، ولكنه ساوى بينهما في ميدان الرذيلة والفاحشة أولاً ، ثم أطلق المرأة في سائر الميادين ولو لم تكن هي أهلاً لها ، ثمَّ استغلها أسوأ استغلال ، ثمّ أسقط الرجل والمرأة معاً من منزلتهما الكريمة التي أنزلهما الله فيها بالفتنة والعلمانية والكفر أواضطراب التصور الإيماني ، والابتعاد عن منهاج الله الحق .

لابدَّ أن نعي هذه الحقيقة أولاً لتساعدنا على فهم هذا الحديث الشريف الصحيح . ونستدل على ماذهبنا إليه في أن الغرب لم ينصف المرأة ولم يكرمها ، وكذلك الشرق المادي الملحد ، بأدلة كثيرة من فكرهم ومن واقعهم ، ومن بينها ما قاله جورباتشوف في كتابه «البيروسترايكا » مما ذكرناه سابقاً ، ونعيده هنا لأهميته :

« ولكن في غمرة مشكلاتنا اليومية الصعبة كدنا ننسى حقوق

المرأة ومتطلباتها المتميّزة المختلفة بدورها أُمّاً وربّة أسرة ، كما كدنا ننسى وظيفتها التي لابديل عنها مرّبية للأطفال . . »[1]

ويتابع غورباتشوف قوله فيقول : « . . فلم يعد لدى المرأة العاملة في البناء وفي الإنتاج وفي قطاع الخدمات وحقل العلم والإبداع ، مايكفي من الوقت للاهتمام بالشؤون الحياتية اليومية ، كإدارة المنزل وتربية الأطفال ، وحتى مجرد الراحة المنزلية . وقد تبيّن أن الكثير من المشكلات في سلوكية الفتيان والشباب ، وفي قضايا خلقية واجتماعية وتربوية وحتى إنتاجية ، إنما يتعلق بضعف الروابط الأُسرية والتهاون بالواجبات العائلية » .

الآن ياغورباتشوف؟! الآن ، بعد أن حطمتم المرأة أنتم والغرب مئات السنين ، وأسقطتموها بوحول الفاحشة ، واستغللتموها في إشباع شهواتكم دون رحمة ؟! ألم تروا المرأة العجوز في بلادكم وسائر البلدان التي تسير في ركابكم وهي

(١) جورباتشوف : البيروسترايكا والتفكير الجديد لبلادنا والعالم أجمع . ترجمة أحمد محمد شومان وإخوانه (ص: ١٦٦) .

تنظف الشوارع في عمل شاق مزرٍ ؟! ألم تروا المرأة وهي تجري لاهثة من عمل شاق إلى عمل شاق لتبحث عن لقمة العيش ، فمن لايعمل لا يأكل ؟! هنا في هذا الشقاء الإجرامي ساويتم دون وجه حق بين المرأة والرجل في ظلم وعدوان وإجرام ، حتى تفلتت البيوت وتقطعت الأرحام وتمزّقت الأُسرة ، وفسدت الأجيال وانتشرت الجريمة ! ذلك لأنك لم تسمع قوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد : ٢٢]

أما الإسلام فقد كرّم المرأة وحدّد لها دورها في الحياة كما سنرى بعد قليل . كرم الإسلام المرأة والرجل وساوى بينهما في الشعائر والعمل الصالح ، فكلف الله سبحانه وتعالى المرأة ، كما كلف الرجل ، بالشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج . وحسب الإنسان تكريما أن كلفه الله بهذه الأركان وغيرها من التكاليف الشرعية .

وأصف في قصيدة « هي النجاة أدركيها » موقف الحضارة الغربية من المرأة في ديواني «مهرجان القصيد» ، وموقف المؤيدين لذلك في بلادنا [1] أقتبس منها :

وكم ترى عصابة وثورة من حُمُق
تقول ياحضارة ال غرب أطِلّي واخْفقي
واقتلعي الدِّين وكلّ غرسة من خُلُق
وزيّني الظلم وحَمْـ ـأَ الجنس دفْقَ الشبق
وجَرّدي المرأة من عفَّتها وانطلقي
وجرّديها من بقا يا ثوبها والخِرَق
وارم بها عارية على ثنايا الطرق

(١) ديوان مهرجان القصيد، للمؤلف، ص ١١١ ، ١١٢ ، قصيدة هي النجاة أدركيها.

لكل ذئب جـــــائع
وكـــل وحـــش مطبـــق

ثـم اقتلي بقيـــة الـــ
إنســـان فيهـــا واسحقي

لم يبـق إلا مضغـــــة
يلفظهــــــا كـل شقـي

يمصقهـــــا ويثتنـي
للهـــوه الممــــزّق

وغلّفي الجريمـــة الـــ
ــــكبرى بثـــوب خلق

بـــرايـــة كـــاذبـــة
أو بشعـــــــار شيّـق

كـم عُـــرُس في مـأتـمٍ
ومــــأتـــمٍ في رونـــق

إنها حضارة الغرب التـي غزتنا بطوفـان جبّار لم تكرم المرأة ، وإنما جّردتها من جـوهرها الإنسـاني ، وأغرقتها في وحـول المادية من جنس فاجر أو علم منقطع عن الإيمان والتـوحيد ، أو مراكز قياديـة في بعض الشعوب وفي بعض مـراحل تاريخهـا ، منصرفة

عن مهمتها الحقيقية في الحياة ، المهمة التي خلقها الله لها .

لانستطيع هنا أن نفصّل في مهمة المرأة ودورها في الحياة كما بيّنها منهاج الله - قرآناً وسنّة ، ولكننا نبتدىء بالقول بأنها زوجة في سكن ومودة ورحمة وحنان ، وأمّ في بناء وتربية ، وعون للرجل في نصرة دين الله ، وتحقيق الأهداف الثابتة التي حدّدها منهاج الله وفصّلها ورسم نهجها ودربها ، ثمّ نشير إلى قبسات من الكتاب والسنة حول منزلة المرأة في الإسلام ومهمّتها ودورها في الحياة ، مما يعيننا في فهم هذا الحديث الشريف لنستفيد من ذلك في واقعنا اليوم ، في واقع الدعوة الإسلامية وحركتها ونهجها ، ودور المرأة فيها .

١ - منزلة المرأة في الإسلام ، وتكريم الإسلام ورعايته لها :

يجب أن ندرك أولاً أن نظرة الإسلام للمرأة يقوم عليها تحديد لمهمتها في الحياة ، وتكريم لها ، وإنقاذ لها من وحول الفتنة ، ومدّها بالتوجيه الصادق الذي تحتاجه في مسيرتها في الحياة .

ولايمكن للمرأة أن تعرف مسئولياتها ومنـزلتها وواجباتها وحقوقها إلا من كتـاب الله وسنـة رسـولـه ﷺ ، كما كـانت المسلمات زمن النبـوّة الخاتمة يأخـذن ويعـرفـن . أمـا الاقتصـار على قـول البشر والقيل والقال فإنه يسبب الاضطراب ويثير الشبهات .

نظرة الإسـلام للمرأة تختلف بـذلك اختـلافاً كليا عـن نظرة الحضارة الماديـة . تختلف النظرتـان اختلافـاً واسعاً لا لقـاء معه بينهما . فهذه سبيل وصراط مستقيم ، وتلك سبل شتى ، كما جاء في حديث عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ حيث قال : «خطّ لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قـال : هذا سبيل الله . ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قـال : هذه سبل متفرّقة ، على كل سبيل شيطـان يدعو إليـه » ثم قـرأ الآية : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه..﴾ [رواه أحمد والنسائي والدارمي] (١)

فحتى نفهم معنـى الحديث الـذي نحـن بصـدده يجب أن

(١) مشكاة المصابيح للتبريزي بتحقيق الألباني : كتاب الإيمان (١) . باب الاعتصام بالكتاب والسنة (٥) . حديث رقم (١٦٦) وإسناده حسن .

نتحلَّل أولاً من سلطان المادية الغـربية والشرقية ، وأن نستجمع في قلوبنا حقيقة الإيمان والتـوحيد ،وأن نستجمع الآيات والأحاديث المتعلقة بموضوع المرأة هذا ومنزلتها وقيمتها في دين الله .

فمن الخطأ أن نأخذ الحديث أو الآيـة ، وأي حديث أو أي آية ، معـزولاً عن سائر الأحـاديث المتعلقـة بموضوعـه، أو عن سائر الآيات . وكذلك لا بدَّ أن نجمـع في ذهننا صورة متكاملة متنـاسقـة عن القضيـة كلهـا ، لتكـوّن الخلفيـة الضروريـة أو القاعدة اللازمـة لفهـم الحديث أو الآية ، والفقه في هذا الحديث أو تلك الآية .

لقد كرّم الله بنـي آدم رجالاً ونساءً في الآية التاليـة من سورة الإسراء ، دون أن يفاضل سبحانه وتعـالى بين الرجال والنساء ، فكان تكريماً لبني آدم عامة فضلاً من الله ورحمة :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠]

وتأتي وصيَّة رسـول الله ﷺ لتأمر المؤمنين أن يستـوصـوا بالنساء خيراً ، لتكون هذه الرعاية للنساء معنى من معاني الإيمان بالله واليوم الآخر ، ولتكون وصيّة بالرعاية والتعهد :

فعن أبي هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره ، واستوصوا بالنساء خيراً » .
[رواه البخاري] [1]

وعن أنس كذلك : « استوصوا بالنسـاء خيراً . »
[رواه أحمد] [2]

وعن أبي هريرة أيضاً : « من كان يؤمن بـالله واليوم الآخر ، فإذا شهد أمراً فليقل خيراً أو ليسكت . استـوصوا بالنساء ، فإن المرأة خُلِقتْ من ضلع ، وإن أعـوج شيء في الضلع أعـلاه ، إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج » [رواه مسلم][3]

وصية ماضيـة أبدا الدهر ، ورعـاية حانية كـريمة . فالمرأة

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني : رقم : (٦٥٠٤).
(٢) المرجع السابق : رقم : (٩٥٩). (٣) المرجع السابق : رقم (٦٥٠٠).

خُلقتْ من ضلع الرجل . حقيقة نؤمن بها ، ولكن تكفُر بها الحضارة المادّية كلها . ومع أنها خلقت من ضلع ، وأعوج شيء في الضلع أعلاه . . . . ، فإن الإيمان حين يدخل قلب المرأة يلطّف كثيراً من نقاط ضعفها . ففي المرأة ضعف يبيّنه هذا الحديث ، وفي الرجال ضعف كذلك ، وفي الإنسان عامة ضعف كما سنبين بعد قليل . ولكن جاء هذا الحديث ليكشف عن جانب من جوانب ضعف المرأة يتطلب هذه الوصية من الرسول ﷺ ، دون أن يعنى هذا أوغيره تحقيراً للمرأة ، ولا إنقاصاً من منزلتها في الإسلام ، ولا سبباً لنعيب به على المرأة .

وقوله ﷺ : « . . . **فإن المرأة خلقت من ضلعٍ ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه** . . . » لايعني تحقيراً للمرأة المؤمنة . إن هذا الحديث الشريف الصحيح يبيّن لنا حقيقة ثابتة ، ويبيّن جانباً من طباع المرأة عامة ، وليس من طباع المرأة المؤمنة بخاصّة .

ومنهاج الله يكشف لنا من خلال الآيات والأحاديث جوانب من ضعف الإنسان بعامة ، وجوانب من ضعف

الرجل وجوانب من ضعف المرأة ، كما سيرد معنا أثناء شرح الحديث موضوع بحثنا هذا .

وكيف يحقّ لنا أن نعتبر هذا نقصاً وتحقيراً للمرأة ، والمرأة من خلق الله ؛ والله أحسن كلَّ شيء خلقه . ومن حكمة الله أن جعل نواحي الضعف في الرجل والمرأة ، في الإنسان عامة ، جزءاً من تكوين الإنسان تجعل للإنسان دوراً في الحياة الدنيا ، يمضي به الإنسان من خلال ابتلاء وتمحيص . فمن نجا ارتفعت مكانته بإذن الله وفضله ، ومن زلَّ وسقط نزلت مكانته :

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسَانِ مِن طِينٍ ﴾

[السجدة : ٧]

وسنعود إلى هذه القضية مرة ثانية عند شرح الحديث الذي نحن بصدده . إن نواحي الضعف في الرجل والمرأة يعالجها الإسلام . فمن استجاب للعلاج خفّ أثر ضعفه بإيمانه وهداية الله له ، وبعلمه بمنهاج الله . واستمع لقول الله

سبحانه وتعالى يبيّن لنا هذه الحقيقة المهمة :

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٧]

إن هذه الخصائص الإيمانية من إقامة الشعائر والصدقة والخشيةمن الله ، والتوبة والاستغفار ، هذا كله وكثير غيره يخفف من أثرالضعف أو يزيله .

فلا يجوز لنا أن نجعل مايعرضه منهاج الله لنا من ضعف في الرجل أو المرأة سبباً لتحقير هذا أو ذاك ، نعيب به عليه . إنها حقائق ثابتة عن الضعف في الرجل أو المرأة تساعدنا في واقعنا على وضع مناهج التربية والبناء على أساس من منهاج الله .

وتمضي رعاية الإسلام للمرأة من خلال المنهاج الرباني في جميع مراحل حياتها : وهي طفلة ، وزوجة ، وأم ، وأخت ،

ورحم موصولة . إنها رعاية حانية دائبة تتحدّد معها منزلة المرأة وتبرز خصائصها التي خلقها الله عليها .

فكان من أول الرعاية لها أن أنقذها الإسلام من الوأد الذي كانت تتعرّض له الطفلة حين تولد في الجاهلية لاحتقارهم لها . ومع احتقارهم لها فقد كانوا ينسبونها لله ويجعلون من الإناث بنات لله . فلقد أساؤوا في حكمهم مرّتين : حين وأدوا الطفلة دون وجه حق :

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾
[التكوير: ٨، ٩]

وكذلك حين نسبوا الإناث إلى الله سبحانه وتعالى . ويكشف الله سبحانه وتعالى لنا سوء حكمهم وتقديرهم في هاتين الحالتين في أكثر من سورة :

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾
[النحل: ٥٧ - ٥٩]

هكـذا كان خلق الجاهليـة وهكـذا كـان احتقارهم للمـرأة وظلمهم لها، وهكذا كـانت فلسفتهم ، وهكذا كـان تناقضهم فيهـا وسخـف تفكيرهم بها ، حين يجعلـون الإنـاث بنـات لله سبحـانـه وتعالى مع احتقـارهم لهن . فكـان حكمهم سيئاً في جميع هـذه الحالات : حين يئدونهن ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ ، وحين يمسكـونهن على احتقـار وهـون ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾، وحين ينسبون الإناث بناتٍ لله : ﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

وفي سورة الزخرف :

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾
[الزخرف : ١٥]

هكــذا يـرفع الله من شـأن المرأة والـرجل فيســاوي بينهما ويجعلهما عبـاداً لــه ، عبـاداً لـه كــرّمهم بـالعبــادة والخلافـة وبالأمـانة، لكل منهما دور ومهمـة في الوفـاء بالأمـانة ، الـوفاء الـذي يقـوم عليهما معـاً ، لاعلى الـرجل وحـده ، ولا على المرأة وحدها .

﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾

[الزخرف: ١٦ ، ١٧]

هكذا يفضح الله سخف الجاهلية وتناقض فكرها ووقوع أهلها في ضلالة بعد ضلالة ، وسوء تقديرهم ، حتى ساء حكمهم في كل حالة وضلالة .

وتمضي رعاية الإسلام للمرأة في جميع مراحل حياتها . ويبيّن لنا حديث رسول الله ﷺ عظمة هذه الرعاية وامتدادها وهي تنشأ بين أبويها :

فعن عقبة بن عامر عن الرسول ﷺ أنه قال : « من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن ، وسقاهنّ وكساهنّ من جدته كن له حجاباً من النار يوم القيامة »

[رواه أحمد وابن ماجه] (١)

نعم ! «فصبر عليهنّ» ! وذلك يعني بذل الجهد الصادق

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (رقم : ٦٤٨٨).

بإحسان تربيتهن على الإيمان والتوحيد ومنهاج الله ، وتعهّدهنّ إيماناً وعلماً وعملاً ، مع رعايتهن بالمطعم والمشرب ، والكساء الجديد الحسن . وتجيء هنا كلمة « فصبر عليهنّ » لتدلّ على ماتحتاجه التربية والتعهد من جهد وصبر . ولايختص ذلك بالنساء وحدهن ، فإن التعليم والتربية والتعهد أمر شاق في جميع حالاته مع الأطفال ذكوراً أو إناثا ، ومع الفتيان والفتيات والرجال والنساء . ولكلّ حاجته وأسلوبه . ولكن الرسول ﷺ كان يدرك حاجة المرأة إلى أن تحاط بالرعاية الإيمانية ، والتوصية على ذلك ، لما تتعرض له الفتاة في المجتمع البشري من استغلال وإفساد .

ولقد أمر الله رسوله ﷺ بالصبر مع المؤمنين وهو يتعهّدهم ويربيهم :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾
[الكهف : ٢٨]

ورعاها الإسلام وهي زوجة رعاية دائمة حانية ، ليجعل لها منزلتها الحقيقية ويصون حقوقها وكرامتها ، . في ظلال الإيمان والتوحيد :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم : ٢١]

وكذلك :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء : ١]

فالآية الأولى تمثل الرعاية في جو السكن والمودّة والرحمة . إنه حق ويقين ، وآية من آيات الله ، يغفل عنها الكثيرون حين يدرسون منزلة المرأة وتكريم الإسلام لها ، ودورها العظيم في الحياة الزوجية .

وتأتي الآية الثانية لتربط الرجل والمرأة في نفس واحدة آية

أُخرى من آيات الله ، لاتُقِرُّ بها الحضارة المادية ، ولكنها الحق البيّن من عند الله . ومن هذه النفس بثّ الله رجالاً كثيراً ونساء ، لينشأ الرحم بين الناس صلةً من أطهر الصلات في حياة البشرية ، يقيمها الرجل والمرأة معا في ظلال الإيمان والتقوى ، وتتمزّق هذه الصلة ، صلة الرحم ، بالفجور والفتنة والفساد :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد : ٢٢]

ويأتي الأمر من عند الله لرعاية هذه الصلة ، صلة الرحم ، وتربط الآية الكريمة هذه الرعاية بتقوى الله : ﴿ .. **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً** ﴾ .

ويتابع الإسلام هذه الرعاية الحانية من خلال آيات بينات وأحاديث شريفة لانستطيع إيرادها كلّها ، ولكننا نورد إشارات ونأخذ قبسات :

فعن سعد عن الرسول ﷺ أَنه قال : « **أربع من السعادة : المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب**

الهنيء . وأربع من الشقاء : المرأة السوء ، والجار السوء ، والمركب السوء ، والسكن الضيق »

[رواه الحاكم وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان][1]

وعن ابن عمر عن الرسول ﷺ قال : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » [رواه أحمد ومسلم والنسائي] [2]

وعن معاوية بن حيدة عن الرسول ﷺ قال : « حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم ، ويكسوها إذا اكتسى ، ولايضرب الوجه ، ولايقبّح ، ولايهجر إلا في البيت »

[رواه الطبراني في الكبير والحاكم] [3]

ففي الحديث الأخير عن معاوية بن حيدة ، يأتي كلمة : «ولايضرب الوجه » . وينساق الكثيرون أحيانا ليحسبوا أن مهمة الزوج أن يظلّ حاملاً عصاه يضرب بها زوجته . وتغيب في أذهانهم معاني السكن والمودة والرحمة ، ومنزلة المرأة الكريمة .

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (رقم : ٨٨٧) .
(٢) المرجع السابق : (٣٤١٣) .
(٣) صحيح السابق : (رقم : ٣١٤٩) .

فهذا الضرب غير المبرّح ، الضرب الذي لاينال الوجه ، هو للمرأة التي تنشز فلا تلتزم منزلتها وحدودها ، ولاتلتزم قواعد الإيمان ، ولاتعالج الأُمور من خلال منهاج الله ، ويصبح سلوكها يهدّد البيت والحياة الزوجية . وفي هذه الحالة التي تنشز فيها المرأة يظل الإسلام يعالجها ويرعاها . فالضرب ، كما سنذكر بعد قليل ، هو محاولة من محاولات الإصلاح بعد الوعظ ، وقبل أن يعتزلها ، وقبل الفراق والطلاق .

« ولا يُقبّح . . . » ! فهذا توجيه كريم في معاملة المرأة الناشز التي نشزت بسلوكها وعشرتها ، نشزت واستعصت عل زوجها .

« . . ولا يهجر إلا في البيت . . » ! مرحلة تالية كذلك للمعالجة والرعاية للمرأة الناشز ، المسيئة في بيتها .

ولايُخْدَعَنَّ أحد بالغرب وحضارته ودعوة تلامذته ، حين يحاولون إثارة الشبهات حول « الضرب » « والهجر» . فالذي يفعله أولئك بالمرأة أشد إيلاماً وأسوأ مآلاً ، فما يفعلونه هو انتقام أو خيانة ، لامعالجة فيها للبيت والأُسرة ومشكلاتها .

نجد هناك روابط الأسرة مفككة ضحلة والمرأة تخون ، وتُقبّح في اللفظ والمعاملة ، والرجل يخون ويقبِّحُ في اللفظ والمعاملة ، وإذا ضرب انتقم ، وإذا ثارت النقمة تحولت إلى جريمة مروعة من قتل وتقطيع . والخيانة ممتدة من أعلى المستويات إلى أدناها ، حتى انتشرت الفاحشة أسوأ انتشار . وأما هذا فهو تشريع حق عادل من عند الله للمرأة الناشز لتطمئن المرأة المسلمة إلى مكانتها في دين الله ، ورعايته لها ، رعاية دائمة . ولايُخدَعَنّ أحد بمن يحاول استغلال جهل المسلمين بدينهم ، فيثير الشبهات الباطلة ، في تبعيّة ذليلة للغرب والحضارة المادية كلها ، حيث يضربون الزوجات ويقبحونهن أسوأ ضرب وتقبيح .

وسنعود بعد قليل إلى هذا الموضوع ونحن نتحدث عن مسئوليات المرأة وواجباتها ، بعد أن تحدثنا هنا عن بعض حقوقها .

وحسبهن كذلك أن ذكرهنّ الله في كتابه الكريم ، فقرنَهنّ

---

(١) البخاري : (٦٧/ ١١١/ ٥٢٣٢). مسلم : (٣٩/ ٨/ ٧٢/ ٢١٧٢).
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج: ٦). (ص: ٢٢٢) حديث : ٧٥٢٦).

مع الرجال في مستوى واحد من المسئوليات المبينة . لاتفاضل فيها إلا بالتقوى والبذل في طاعة الله ، ذلك في سورة النساء والتوبة والأحزاب ومحمد والفتح والحديد ونوح والبروج . وجعل برحمته لهؤلاء مغفرة وأجراً كريماً .

وحسبهن كذلك أن خصّهن الله بالذكر والتوجيه والرعاية في عدد من سور القرآن الكريم ، وعدد من أحاديث الرسول ﷺ .

وكلما جاء في القرآن ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ...** ﴾ فإنها تشمل الرجال والنّساء بالرعاية الربانية والتوجيه :

وحسب النساء تكريماً أن تكون زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين . وحسبهن شرفاً أنَّ منهنَّ أربع نساء هن خير نساء العالمين .

ولقد ظهر في عهد النبوة والخلفاء الراشدين والتاريخ الإسلامي عامة نساء عبقريات كن النموذج للمرأة المؤمنة ، الواحدة منهن تفوق نساء الحضارة الغربية كلهنّ :

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]

لقد رعى الإسلام المرأة وأكرمها ، وأنقذها من الجاهلية ، وحدّد لنا بعض خصائصها كما حدد بعض خصائص الرجال وبعض خصائص الإنسان عامة .

ورعاها وأكرمها وهي أم كذلك ، فنالت الرعاية الكريمة .

فحين أمر الله عباده المؤمنين بالبر بالوالدين ، كان ذلك عاماً للرجل والمرأة وقرن هذا البّر بعبادة الله مباشرة في النص :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]

وتتوالى الآيات الكثيرة والآحاديث تحضُّ على بر الوالدين وتقرنهما معاً رجلاً وامرأة .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه أو كلاهما عند الكبر ولم يدخل الجنة » . (١)

وعن مالك بن ربيعة السعدي قال : « بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار فقال : هل بقي من برّ أبوي من شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : «نعم ! خصال أربع : الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لارحم لك إلا من قبلهما ، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما »

[رواه أحمد وأبوداود وابن ماجه] (٢)

وعن معاوية بن جاهمة السلمي ، أن جاهمة جاء إلى النبيّ

(١) صحيح الجامع للصغير وزيادته : حديث رقم (٣٥٠٥) . وقال رواه أحمد ومسلم .
(٢) أبو داود : كتاب (٣٥)، باب (١٢٩)، حديث (٥١٤٢) . ابن ماجه : الأدب ، حديث (٣٦٦٤) .

ﷺ فقال : « هل لك أم؟ » قال : نعم قال : « فالزمهـا فإن الجنة عند رجليها » [رواه أحمد والنسائي وابن ماجه] (١)

وعن معاوية بن حيدة عن أبيـه عن جده قال قُلت يارسول الله : من أبرّ ؟ قال «أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أباك ، ثم الأقرب فالأقرب » [رواه أحمد وأبوداود والترمذي والحاكم] (٢)

فأي تكريم تريده المرأة بعد هـذا ، وأي منزلة تريدها أعظم من هذه ، وأي رعاية أكرم وأجمل وأفضل .

هذا هو تكريم المرأة : طفلة وصبيَّـة وزوجة وأُماً . فلا يُعقل أن يأتي في الإسلام مايناقض ذلـك ، ولا مايُحقّر المرأة أو ينزلها عن منزلتهـا لأنها امـرأة ، ولا ما يكـرّم الـرجل لأنـه رجل . ولكنهـا التقوى والوفاء بالتكاليف والعهد هي ميدان التفاضل والتنافس .

٢ - مسئوليات المرأة والتكاليف المنوطة بها :

أمـا وقد عـرفنا من خـلال الآيات والأحـاديث منزلـة المرأة

(١) احمد : الفتح الرباني : ١٤/ ٤٠ - ٤١/ حديث (١٣٥) .
(٢) أحمد الفتح : ١٧/ ٦١ - ٦٢/ حـديث رقم (٣٤) . أبو داود : كتـاب (٣٥) ، باب (١٢٩) ، حديث (٥١٣٩) .

المؤمنة في الإسلام وتكريم الإسلام لها ، فلا بد أن نتعرّض الآن لمسئوليات المرأة المؤمنة ودورها في الحياة الدنيا . نشير لها هنا إشارات سريعة ونعرض أهم ملامحها العامة على نفس الأسس التي سبق ذكرها مع أول هذا البحث. خلق الله الرجل والمرأة وجعل لكل منهما خصائص يتميز بها وخصائص يشتركان بها ، وجعل للإنسان ، وللناس عامة ، خصَائص مشتركة ، وخصائص يتميزبها رجل عن رجل ، وإنسان عن إنسان ، كما تتميّز المرأة عن الرجل ، والرجل عن المرأة بخصائص خلقهما الله عليها . وعلى ضوء هذه الخصائص التي أوجدها الله في خلقه ، جاءت التكاليف من عند الله ، للإنسان عامة ، ولكلّ قدر وسعه وطاقته ، وتكاليف ومسئوليات للرجل ، وتكاليف ومسئوليات للمرأة .

على ضوء ذلك تتحدّد منزلة كل من الرجل والمرأة ، وعلى ضوء التزام كل منهما بعهده ، والوفاء بالمسئوليات والتكاليف .

وعلى ضوء هـذه التكاليف والمسئوليات يتحـدّد دور الرجل في هذه الحيـاة الدنيا ، ودور المرأة كذلك . دوران متكـاملان ، يكمل كل منهما دور الآخر على تناسـق وترابط يمضي من خلال الالتزام بمنهاج الله ، من خلال الإيمان والتوحيـد الذي يرتفع به الـرجل والمرأة . وكل منهما سيحـاسَب يـوم القيامـة عن مـدى الوفاء بالأمانة التي خُلِق لها والتكاليف التي أُنيطت به .

فـالأمانـة التي يحملها الإنسـان في الحياة الـدنيا ، يحملهـا الـرجل والمرأة معـاً للوفـاء بها . وكـذلك أمـانة العبـادة حسبما كلّف كل منهما، وكذلك تكـاليف الخلافة في الأرض وعمارتها . فلا يستطيع الـرجل أن يمضي في هذه الحيـاة الدنيـا وحده ليفي بالأمانة والخلافـة والعبادة والعمارة . إنما عمل مشترك بين الرجل والمرأة ، بين دورين متكـاملين تبينهما لنا الآيات والأحـاديث ولا تستطيع المرأة وحدها دون الرجل أن تفي بذلك .

فلقـد سبق أن عرضنـا في ظـلال الآيـة من سورة النسـاء ،

كيف أن الله ﴿بث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ ذرية ممتدة في الأرض يقوم بها الرجل والمرأة معاً ، ليشتركا معاً في بناء صلة الرحم ، الرابطة الإيمانية الكريمة اللازمة في حياة البشرية : ﴿فاتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ..﴾!

ولننظر الآن في مسئولية كل منهما في ميدان واحد ، هو البيت ، الأسرة ، الحياة الزوجية :

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤)﴾
[النساء : ٣٤]

فالقوامة في البيت للرجل . هذه حقيقة ربّانية وتكليف من الله سبحانه وتعالى له . حقيقة ربانية ثابتة تمضي في البيت ، بيت الزوجية من خلال ماسبق أن عرضناه من سكن ومودة

(١) كتاب ضرورة الفصل بين الجنسين لحسن زكريا فلفل (ص : ١٠) ينقل هذه المعلومات عن الأستاذ أبي الأعلى المودودي .

ورحمة ، ومن خلال خضوع كل منهما لقـواعد الإيمان والتوحيد ، وقواعد منهاج الله .

إن هـذه القـوامـة أمـر ربّـاني ، حق مطلق ، لايحل لمؤمن ولامؤمنـة مخالفته ، تتلقاهـا الزوجة المؤمنـة بالرضى والاستجـابة والخشوع ، لأنها تعرف فضل الزوج عليهـا مما علمها الله في قرآنه وسنـة نبيّـه ﷺ . بهذه الاستجـابـة لأمـر الله تأخـذ المرأة المؤمنـة منـزلتها في الإسـلام ، وتصـان كرامتهـا ، وتـؤدي الأمانـة التي خلقت لها . إنه تكريم ربّانيّ للمرأة :

فعن عبدالله بن أوفى عن الرسـول ﷺ أنه قال : « لو كنت آمـراً أحداً أن يسجـد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجـد لزوجهـا . والـذي نفس محمد بيـده لاتؤدي المرأة حق ربّها حتى تـؤدي حق زوجها كله ، حتى لو سألها نفسها وهي على قَتَب لم تمنعه »

[رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان] (١)

إنها صـورة يـرسمهـا الحديث الشريـف لحقيقـة العـلاقـة الزوجية وقوامة الرجل . ذلك كلـه من خلال وفاء الرجل بأمانته

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (رقم : ٥٢٩٥) .

وتكاليفه ، من خلال السكن والمودة والرحمة ، في أجواء الإيمان والتوحيد ، وممارسة الرجل والمرأة كليهما لمنهاج الله للوفاء بالأمانة الكبيرة التي خلقا لأجلها .

لن يأمر الرسول ﷺ المرأة أن تسجد لغير الله أبداً . ولكنه أسلوب في التعبير اقتضته مناسبة معيّنة ، حين عاد معاذ بن جبل من اليمن أو الشام . ورأى النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها ، فقال للرسول ﷺ أنت أحق أن تُعظَّم بمثل ذلك . فأجابه بهذا الحديث الشريف . والإنسان حين يسجد لله فله في ذلك العزة والمكانة الرفيعة ، وهو أقرب مايكون لله . والله سبحانه وتعالى أبدلنا عن سجود المرأة لزوجها بما شرع لنا من الدين مايحفظ هذه الرابطة ، وجعل في الفطرة السليمة ما يصونها ويَرْعاها . وسجود الرجل والمرأة لله هو عزتُهما معاً ، وحماية لرابطتهما وللسكن والمودة والرحمة بينهما .

﴿ **بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ...** ﴾ . وأول مايريد أن يثيره بعضهم من شبهات

وجدل هو استنتاج أن الـرجل خير من المرأة، ولكن الله سبحانه وتعـالى لم يجعل للتفـاضل بين أحـد من خلقـه إلا بـالتقـوى ، وجعل الميـدان مفتوحـاً للمنافسـة في ذلك : ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الصافات: ٦١] وكذلك ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين: ٢٦] . والمفـاضلـة بين الـرجل عامة والمرأة عامة لم يطرحهـا الإسلام قضية تُدرس وتثار . ولكن جعل للرجل مَهمّـة ودوراً في الحياة لاغنـاء عنه ، وللمـرأة مهمةً ودوراً لاغنــاء عنــه كــذلـك ، وجعل الــدورين مترابطين متناسقين، حتى تمضي الحيـاة الدنيا بهما معـاً على درب واحد . والفضل كل الفضل بمقــدار وفـاء كل منهما بعهــده مع الله ، وأمانتـه والتزام منهاج الله ، لافي أي شيء آخـر ، على أن يعرف كل منهما دوره الحقيقي ومكــانـه الحق ومهمتـه ، فـلا يتشبـه الرجـال بالنّسـاء ، ولا تتشبَّه النسـاء بالـرجال ، ولعـن الله هذا وتلك حين يتشبَّه أحـدهما بالآخـر فتختلط الحدود ، وتضطرب المهمات ، ويعتـدي الرجـل فيزل ويعصي ، وتعتـدي المرأة فتزل

وتعصي . إن المفاضلة هي في ميدان التقوى والإيمان والتزام كل منهما حدوده وتكاليفه ، لافي ميدان مساواة المرأة بالرجل كما يدّعي بعضهم اليوم ، ولابمساواة الرجل بالمرأة ، إلا في نطاق الإيمان والإسلام وماشرع الله لهما من مسئوليات مشتركة .

نعم ! ﴿ **بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم ...** ﴾ !

فلقد فضل الله الرجل على المرأة بمسئوليات ، وفضل المرأة على الرجل بمسئوليات . فلقد جعل الله بحكمته ، على ضوء ماخلق ، مسئولية للرجل ومسئولية للمرأة . فهناك فروق في الخلق والأعضاء ، وهناك تشابه وتماثل . وهناك فروق في القدرات وهناك تماثل . ونتج عن ذلك تفاوت في المسئوليات والواجبات في الحياة الدنيا ، كل على قدر وسعه وعلى قدر ما هيّأ له الله من قدرات ، مما لا مجال هنا لتفصيله . ففي منهاج الله تفصيل واسع .

فالمرأة هي التي تحمل وتلد . فلها فضل عظيم بذلك . فلا يستطيع الرجل أن يقوم بدور المرأة ولا المرأة بدور الرجل .

وهذه وحدها آية عظيمـة من آيات الله ، ولهما ميادين مشتركة ، ولهما ميادين خاصة بكل منهما .

وجعل الله مسئولية الإنفاق على البيـت مسئولية الرجل أولاً فهـو المكلّف بـالسعي في طلـب الـرزق خـارج البيت ، والمرأة مكلفـة شرعـاً بأمـر الله بـرعـايـة البيت وتعهـد الأبنـاء . ولكن الإسلام لايمنع المرأة من مساعدة الـرجل في مسئولياته ، ولايمنع الرجل من مسـاعدة المرأة في مسئولياتها دون أن تسقط المسئولية عن أحـدهما ، ودون أن تختلـط الحدود وتضطـرب ، ودون أن يقصّر أحدهما بمسئـوليته والوفاء بها . ويتم التعـاون بين الرجل والمرأة من خـلال الإيمان والتوحيـد والخضوع لمنهـاج الله ، ومن خلال السكن والمودة والرحمة .

هـذا أمـر الله وهــذا تشريعــه ، يتلقـاه المؤمن والمؤمنـة بالاستجـابة والسمع والطاعـة والرضى . ولكن الحضـارة المادية تخالف في ذلك ، وينهض شيـاطينهـا لينشروا فتنتهم وليصـدّوا

عن سبيل الله وليـزّينـوا للناس ضـلالهم ، وليـدعوا إلى المسـاواة المطلقـة بين الـرجل والمرأة ، وليطلقــوا الحرّيـة المتفلّتـة والفسق والفجـور ، باسم الحريـة ، وحقـوق الإنسان ، والمسـاواة ، في صـورة جـريمة واسعـة . تـرتكبهـا هذه الحضـارة الماديـة بحق الإنسان والبشريـة كلها على مدى التاريخ . ولايقف أمـامها إلا رسـالة الأنبيـاء والمرسلين الذيـن ختموا بمحمـد ﷺ ومنهاجـه الربـاني مهيمناً على ماسبقـه من الكتب المنزلة . وكـذلك جنود الدعوة الإسلاميـة الذين يصدقون الله ورسولـه ، ويحملون أمانة تبليغ رسالـة الله إلى خلقه وعبـاده ، لينقذوهم من عبـادة العباد والأصنام والأوثان إلى عبادة الله الذي لا إله إلاّ هو .

﴿ **فالصالحات قانتات** ﴾ ، ويحفظن حدودهن ويعرفن مسئولياتهن ويؤدينها عبادة وطاعـة لله الذي أمر بذلك ذكراً أنزله على أنبيائه ورُسله .

وأما النـاشزات اللواتي يخرجن عن حـدود ماشرع الله لهن ،

فأولئك يُـــدْعَين إلى العــودة إلى الصراط المستقيم ومنهــاج الله والـدرب السوي . يُـدعَينْ بـالوعظ والتـوجيـه والكلمة الطيبـة والحكمة . وإنها مسئـولية كبيرة يتحملهـا الرجل ليختـار أفضل الأسـاليب وأنجعهـا في وعظه . فإذا فشل الـرجل في ذلك فقـد جعل الله قبل الطلاق والفـراق مراحل كل مرحلـة هي عند المرأة الصالحة أهـون بكثير من الطلاق والفراق . الهجـر في المضاجع أولاً ، وهو الهجر في البيت كما سبق ذكره في الحديث الشريف . فإذا لم يُجْدِ هذا ، وهو غـالباً مايجدي ، لجأ الزوج إلى الضرب غير المبرح ، لايقــرب الــوجـه ، ولايُقَبِّح . إنها وســائل للعــلاج وإصـلاح أمـر الأسرة والبيت . إنــه تشريع من عنـد الله الـذي خلق الــرجل والمرأة وهـو أعلـم بما يصلح لهما . وهــذا التشريع لاتظهـر ثماره إلا حين تكـون الأُسرة قد بُنيت منـذ الأسـاس على شرع الله والتزام الرجل والمرأة له فهذا هو أساس عقد الزواج .

إنها آيات بينات يُشرِّع الله فيها لعبـاده مايصلح لهم دنياهم

وينجيهم في آخرتهم . ويمضي التشريع الرباني ليفصّل في ذلك كله مما لامجال لعرضه هنا ، ومما هو ضروري للمسلم أن يتلقّاه من منهاج الله إيماناً وعلماً وتطبيقاً .

لايوجد في الإسلام إنسان دون مسئولية وتكاليف محدّدة شرعها الله لعباده كلهم : رجلاً أو امرأة ، فتى أو كهلاً أو عجوزاً ، حرّاً أو عبداً. وجاءت هذه التكاليف من عند الله الذي خلق كل شيء ، الذي هو أعلم بخلقه ووسعهم ، ومايجب عليهم من تكاليف ، كلها تخضع لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٢]

ويشير الرسول ﷺ إلى هذه المسئوليات والتكاليف بحديثه الشريف الذي سبق ذكره :

« ألا كُلّكم راع وكلكم مسئول عن رعيّته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ على أهله

وهـو مسـؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلهـا وولـده وهي مسؤولة عنهم . والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه . ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»

[رواه أحمد والشيخان وأبوداود والترمذي][1]

هكذا تتحدّد المسئوليـات ، ثم يأتي تفصيل كل مسئولية في منهاج الله تفصيـلا وافياً . وتتحدّد المسئوليـات وتأتي تفصيلاتها على أسـاس خصائص كل إنسـان ، رجـلاً كان أم امـرأة ، على أسـاس الخصـائص التي خلقــه الله عليهـا ، ليـؤدّي كلٌ دوره وأمانته . فليس في بيان الخصـائص وتحديد المسئوليات إنقاص من قـدر هذا أو ذاك ، ولكنـه الشرف كل الشرف أن يعـرف كل إنسان حدوده وخصـائصه ووسعه ، وأن يعرف مسئـولياته التي كلّفـه الله بها ، ثم ينهض ليؤديها بأمـانـة ووفاء . فبهـذا الوفـاء يأخذ كل من الـرجل والمرأة منزلته ومكانتـه ، وينال من الشرف والتكريم ماهو أهل له .

(١) أحمد : الفتح الرباني : ٢٣/ ١٧ . البخـاري : في الجمعـة ، والاستقراض والـوصايـا وكتب أخرى مسـلم : ٣٣/ ٥/ ١٨٢٩ . أبو داود : ١٤٠/ ١/ ٢٩٢٨ . الترمـذي : ٢٣/ ٢٧/ ١٧٠٥ .

٣ - مع الحديث الشريف : « يامعشر النساء» :

هـذا العـرض الموجـز الـذي عـرضناه كـان تمهيـداً لفهم الحديث الشريف موضع البحـث . ونؤمن أن هذا التمهيـد هام وضروري لأنه يفيد في فهم آيات وأحاديث أخرى .

وأهمية هذا التمهيـد في نظرنا ، نوجـزها في نقاط محددة على النحو التالي :

١ - ضرورة التحـرّر من سلطـان الحضـارة المادية الغـربيـة أو الشرقية ، ممـا تلبسه علينـا من فكر ضـال ، وما تـزينه من فتنة وهـوى وفيما يتعلق في موضوعنا ، نـرى ضرورة التحرّر من فلسفـة تلك الحضـارة ونظـرتها للمـرأة ، لأنها تصـادم نظرة الإسلام ونهجه الربّاني .

٢ - ضرورة دراسـة الآيـات والأحاديث التـي تتعلق بالموضـوع ذاتـه وربطه بها ، لتتكامل الصـورة وتتناسق كما هي في منهاج الله ، لا أن نعزله عن ذلك كله ثم ندرسه مفصولاً مستقلاً .

٣ - نـخرج من هاتين القاعدتين بـأن الإسلام جعل للمرأة منزلة

كـريمـة على ضـوء خصائصهـا التي خلقهـا الله عليهـا ، ورعـاها رعـاية كـريمة حـانية : طفلـة وزوجة وأمّـاً ورحماً مـوصـولـة . وجعل لها تكـاليف ومسئـوليـات على ضـوء ذلك ، تنال الشرف والكرامة بالوفاء بها .

٤ - ضرورة بيـان الصورة المشرقـة للحياة الـزوجيـة وما فيهـا من نظـام وتعـاون وسكن ومـودة ورحمة في ظـلال الإيمان والتوحيد والتزام الـرجل والمرأة سواء بسواء ، بمنهاج الله ، ليعـرف كل مسئوليتـه وحـدوده كما شرعها الله وفصّلهـا في منهاجه الرّباني .

٥ - ضرورة بيان أن الله ميّز الـرجل عن المرأة والمرأة عن الرجل ، بخصائص وقـدرات ، مما نعلـم وممـا نجهل ، وأن الله حدّد دور كل منهما على ضـوء تلك الخصـائص ، وحـدّد المسئـوليـات والتكـاليف ، لتتكـامل هـذه المسئـوليـات وتتناسق ويكمّل بعضها بعضاً ، لا أن يصادمها .

٦ - إن تحديـد هذه الخصـائص والمسئـوليـات المترتبة عليهـا لا

يُعتبر إنقاصاً لقدر الرجل أو المرأة . بل هو تكريم لكل منهما وبيان من عند الله للحق المطلق الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه . ولكن الكرامة والشرف هو في وفاء كل منهما بعهده ومسئولياته .

٧ - يتلقى المؤمن والمؤمنة أمر الله ورسوله بالإيمان واليقين ، والعلم الأمين « والرضى والاستجابة والسمع والطاعة ، على وعي وتدبّر حتى تتيسّر الاستجابة ، ويتيسّر السمع والطاعة ، لا ليدور الجدل وتُثار الشبهات .

بعد هذا التمهيد وهذا الموجز نستطيع الآن أن نتدبر الحديث الشريف . وهو حديث صحيح لامجال للطعن فيه ولا للشك ، ولا للجدل وإثارة الشبهات .

الحديث يتبدىء بالتوجيه ومخاطبة النساء : « يامعشرالنساء **تصدّقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار . . .** » . إنه نداء وتوجيه ونصح وإنذار . ولكنه حق مطلق . الحديث خطاب أولاً للنساء المؤمنات زمن النبوّة الخاتمة ، ثم هو خطاب للنساء

المسلمات إلى آخر الزمان ، ثم هو خطاب ونذير للنساء عامة .

إن الحديث الشريف يذكّر النساء على مدى الدهر بحقيقة كبيرة وهي النار . ويدعوهن لبذل الجهد للنجاة منها بالصدقة والاستغفار .

وإذا كان الحديث ينصّ على أن النساء أكثر أهل النار يوم القيامة ، فهذا حق لامجال للشك فيه ، ولكنه في الوقت نفسه لاينقص من قدر المرأة المؤمنة التقية . وأهل النار يوم القيامة فئتان : فئة كافرة ملحدة مشركة أو منافقة ، وفئة مسلمة . فالأولى خالدة في النار والثانية يخرج منها من تناله رحمة الله وعفوه .

فحين يوحي الله إلى عبده ورسوله ﷺ ، ويطلعه على مايشاء من غيبه ليبلغنا إياه ، فيريه النار أو بعضها فيصفها لنا رسول الله ﷺ ، فإن الرسول يصف عندئذ الوصف الحق . ولكن علينا أن نعي هذا الوصف ونتدبره بما لايناقض ماسبق أن عرضناه من تكريم الإسلام للمرأة ومن منزلتها ومسئولياتها .

فإذا قال رسول الله ﷺ إن أكثر أهل النار من النساء ،

فهـذا حـق ! ولكن أيّ النسـاء؟! فـلا يعقل أن يكنّ المسلمات المؤمنات ، فـذلك تناقض واضح مع مـاسبق عرضـه من سورة الأحزاب : ﴿ أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ . إنه معنى فاسـد مخالف لنصوص القرآن والسنة أن تكـون النساء المسلمات من أكثر أهل النـار . أما أن يكـون جنس النساء من الكـافرات والمشركات والمنـافقات هـو أكثر أهل النـار، فهذه هـي الحقيقة التي كشف لنـا عنها حديـث رسول الله ﷺ هذا . إنّـه من علم الغيب لايستطيع أحـد من البشر أن يعـرفـه إلا من ربّ الغيب والمشهد ، الله الذي لا إله إلا هو !

إنـه نبأ من الغيب لانملك الا أن نتدبّـره ونعيه لنستعين بـه في واقعنـا اليـوم ، لنستفيـد على أسـاس من منهـاج الله بـدور الرجل ودور المرأة حق الاستفادة .

ووجّـه الـرسـول ﷺ الخطـاب في هـذا الحديث الشريف للنساء وخصّهن وحـدهن دون الرجال . ولكن الأمر بـالصدقة والاستغفار والتوبـة جاء إلى الرجال في أكثـر من حديث ، وجاء

عاماً في أحاديث أُخرى . وهو شرف للمرأة المؤمنة أن يخصّها الرسول ﷺ بالتوجيه !

فالرجل مطالب بالصدقة كما أن المرأة مطالبة بها ، و كذلك الرجل مطالب بالاستغفار ، والمؤمنون كلهم مطالبون بهذا وذاك .

فأين التحقير للمرأة في ذلك ؟! وأين الإنقاص من قدرها ومنزلتها بعدما رأينا التكريم الجميل لها في الإسلام ؟! للمرأة المؤمنة منزلتها المصونة وكرامتها مادامت وفيّة لعهدها ، قائمة بمسئولياتها الخاصة بها ودورها الخاص بها ، من خلال التناسق والترابط بين دور المرأة ودور الرجل على أساس من الإيمان والتوحيد ، وعلى أساس من منهاج الله .

ونرى ، خلافاً لما يراه الكثيرون ، أن تخصيص النساء بهذا التوجيه النبوي هو تكريم للمرأة . وحين يخصّ الرسول ﷺ الرجال بالموعظة والتوجيه هو تكريم للرجال ، وتكريم للإنسان عامة ، وفضل من الله عظيم . ولايكون في موعظة النبوة تحقير

لأَحد لا من الرجال ولا من النساء ، وإنما يكون التحقير بهبوط الإنسان بعمله وسعيه . ومن حق النبوة أن تنصح ، والرسول محمد ﷺ ينصح الرجال والنساء . فلا مجال إذن لإثارة الشبهة حين وجه خطابه في هذه الكلمات للنساء ، كما وجّه قبل ذلك وبعده خطابه للرجال والنساء وللمؤمنين وللنساء عامة ، وخصّص وعمّم .

وكأن الرسول ﷺ خاطب النساء المؤمنات أولاً فقال : «تصدّقن وأكثرن الاستغفار . .» . فهذا خطاب خاص بالمسلمات المؤمنات القانتات . ثم قال : «فإني رأيتكنّ . . » فلا تعني هذه الكلمة أن المسلمات الحاضرات في المسجد هنّ وحدهنّ المعنيّات بالحديث . ولا تعني كذلك أن المسلمات عامة هن وحدهن المعنيات . وإنما المعنى الذي يتناسق مع القواعد التي سبق ذكرها هو : فإني رأيت أكثر أهل النار من جنسكنّ ، من النساء عامة . كما ذكرنا قبل قليل .

فليطمئن النساء المؤمنات القانتات إلى أن الحديث يعظهنّ

بـالصدقـة والاستغفار دون أن ينقـص من قدرهن . وقـد وعظ الرجال والمؤمنين عامة في هـذين الأمرين في أكثر من نصّ وأكثر من موقف . فهذه الموعظـة ، ولو أنها جاءت خاصـة بالنساء ، إلا أنها عامة للمؤمنين رجالاً ونساء .

وما جـاء التخصيص للتحقير أو إنقـاص المنزلـة ، ولكنها النبوة الحانية أكرمت النسَاء في هذا الموقف فخصتهنّ بالموعظة .

ويـذكـر الحديث الشريف بعـد ذلك أهم سببين يُـدخـلان النساء إلى النار . السبب الأول كثرة اللعن ، والثاني إنكار الزوجة فضل زوجهـا عليها . وهـذه صفـات خـاصة بـالنسـاء عامـة ، وبالمشركات والمنافقات خاصّـة . إنه طبع من طباع النساء يعالجه الإيمان والتوحيد ، وذكر الله وتلاوة القرآن ، حتى يخفّ كثيراً في النساء المؤمنات القانتات الذاكرات الله كثيراً ، أو يزول .

لانستطيع إلا أن نُقِرّ « كما جـاء في هذا الحديث الشريـف ، أن اللعن وإنكـار فضل الـزوج طبع في النسـاء . ولكننـا لانفهم من الحديث أنـه طبع خـاص بـالمسلمات . فـالله يُـذهب عن

المسلمات المؤمنات كثيراً من الطباع السيئة ، كما يُذهب عن الرجال المؤمنين مثلها . وإن كانت هذه صفة سيئة غالبة على النساء ، فهناك صفات سيئة مقابلها غالبة على الرجال . ولكن الرسول ﷺ أكرم النساء بتخصيص الموعظة لهنّ هنا ، دون أن يعني أن الرجال خالون من طباع سيئة يعالجها الإسلام كذلك .

فهذه موعظة من النبوة الخاتمة ، تتلقاها النساء المؤمنات برضى واستجابة لينتهين عن اللعن وإنكار حق الزوج وفضله ، وليُمَيَّزْنَ بذلك من سائر النسَاء ، وليَقُمْنَ بدورهن ومسئولياتهن بأمانة ووفاء . ثم يمضي الحديث الشريف ليقرّر حقائق ثابتة في القرآن والسنة ، فيقول : «**ماراًيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبّ منكنّ . .** » وهنا يثير أهل الفتنة الشبهات ويدورون بالجدل حول نقص العقل والدين .

والذي نفهمه من منهاج الله أنه لايوجد في البشر عقل مطلق كامل لايخطىء أبداً ، ولايزلّ . والآيات والأحاديث على

ذلك كثيرة جداً ، فالله سبحانه وتعالى وصف الإنسان وصفاً دقيقاً وبيّن لنا خصائصه ونواحي الضعف ، وما غرس الله فيه من ميول وغرائز وشهوات . ويبن لنا الله سبحانه وتعالى الخصائص العامة في الرجل والمرأة . ونكتفي هنا بالإشارة وقبسات قليلة :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾

[النساء : ٢٨]

وعن أنس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال : « كلّ بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » [رواه الترمذي وأحمد والحاكم] [(١)]

فالنسيان والخطأ والميل إلى الظن من خصائص الإنسان . وعلم الإنسان محدود ، ولكل إنسان شيطان ، وقد يغلبه هواه وشهواته ومصالحه ، وقدرات الإنسان كلها محدودة مهما قويت في ظاهرها ، وعقل الإنسان محدود مكلف بأمور محدودة إذا تجاوزها هلك . وفتح الله له آفاقاً في السموات والأرض ، وأغلق

(١) الفتح الرباني في ترتيب مسند الأمام أحمد : ج : ١٩ ، ص : ٣٣٧ ، حديث : ١٣ .

دونه الغيب إلا ماعلّمه لأنبيائه ورسله ليبلغوه عباده وخلقه . وتتوالى الآيات والأحاديث لتفصّل في نواحي ضعف الإنسان وأهوائه وشهواته وقدراته المحدودة .(١)

نخلص من ذلك كله إلى أن نقص العقل والدين ليس صفة خاصة بالنساء وحدهن إنما صفة بشرية عامة في الرجال والنساء ، يثبت ذلك الآيات والأحاديث .

وحتى نطمئن إلى ذلك أكثر ، فلا بد أن يكون لدينا تصور واضح لكلمة «العقل» ماهو العقل في التصور الإيماني ؟! وأين مكانه وموضعه في جسم الإنسان ؟!

يعتبر بعضهم أن الدماغ هو مركز العقل . فيقيسون العقل حيناً بحجم الدماغ وحيناً بوزنه وحيناً آخر بتركيبه ، أو بتركيب الرأس . وتدور هذه الدراسات في معظمها وهي تعزل الدماغ عن جسم الإنسان ، ولاترى له رابطة تربطه بها إلا رابطة مادية .

(١) يراجع كتاب : «الشورى وممارستها الإيمانية» للمؤلف ، ط : (٣) الباب الرابع - باب الاختلاف لأخذ تفصيلات وسع عن طبيعة الإنسان عامة كما يصفها منهاج الله ، وعن خصائص التشابه وخصائص الاختلاف .

ويدور حول ذلـك دراسات وأبحاث ، ومعايير للـذكاء والفطنة وغير ذلك .

لانمانع في هـذه الـدراسـات والأبحـاث ، ولانمانع في أن نمضي في الطب وغيره من العلوم . ولكنّ الذي نـرفضه أن تكون النتائج الظاهرية موضع تقـديس وإجلال ، يريد به بعضُهم أَن يخضع القـرآن والسنة لها ، وأن تُلـوى الآيـات لتناسب مـايصل إليـه البشر ممـا يسمـونـه حقائق علميـة ، ولـو نـاقضت نصّـاً واضحاً صريحاً في منهاج الله .

وتـرد الآيــات الكـريمــة وهي تستخـدم كلمــة « القلب والقلوب » ، «واللب والألباب ، لتبيّن هذه الآيـات الكريمة لنا أن القدرة على الفهم والـوعي والتفكر والتدبر مرتبطـة بالقلب . وأيّ قلب ؟ إنه القلب الذي في الصدور . !

مـاهو العقل ؟ ! العقل ليس جسماً مـادّياً ولا عضـواً محدّداً في جسم الإنسان . العقل طاقة من طاقات الإنسان . إنه طاقة التفكر والتـدبر . تعمل قـوى مختلفة وأجهـزة متعددة في جسم

الإنسان ، مما نعلم ومما نجهل ، لتؤمن هذه الطاقة فيه ، في الإنسان ، ولتؤمِّن دورها وتناسقها مع سائر الطاقات التي وضعها في الإنسان ، في كيانه وفطرته وروحه [1] ، فربما عمل الدماغ والجهاز العصبي والقلب وغير ذلك ، والله وحده أعلم بما خلق ، ربما عملت هذه معاً لتوفّر هذه الطاقة ، وعملت أجهزة أُخرى معها . وتشير الآيات والأحاديث إلى هذه الطاقة بتعبيرات مختلفة ، وتربطها بقوى أُخرى . فحينا يسميها القرآن الكريم « الحكمة » ، وحينا « الفقه » ، ويربطها حينا بالسمع ، وحينا آخر بالسمع والبصر والأفئدة ، ويظل ذلك كله يدور حول القلب واللب ويرتبط به .

وجاء دور « العقل » في الإنسان ، دور هذه الطاقة ، محدوداً كسائر طاقات الإنسان ، لكل طاقة حدود لايملك الإنسان تجاوزها ، فإذا تجاوز العقل حدوده اضطرب وهلك [2] .

(١) يراجع كتاب النية في الإسلام وبعدها الإنساني، للمؤلف، ط (١) (ص: ٥٤-٦٤) لتفصيل أوسع.

(٢) يراجع كتاب «التوحيد» وواقعنا المعاصر»، للمؤلف، ط (٢) - الباب الثالث، الفصل الثاني، (ص: ٢٠٣-٢٢٤) لتفصيل أوسع عن دور العقل وحدوده وموقفه من نبأ الغيب، ومسئولية الانسان.

فالعقل إذن محدود ، وله دور محدود ، وطاقات الإنسان كلها محدودة ، وطبيعة الإنسان الخطأ والنسيان ، وفيه غرائز وميول وشهوات ، وغير ذلك مما يشير إلى أن نقص العقل صفة بشرية عامة في الرجال والنسَاء . وعلى أساس هذا الضعف أو النقص جاءت التكاليف الربانية .

فنقص العقل ، كما هو وارد في الحديث ، لا يعني ذلك النقص الذي يورث الجنون ويسقط التكاليف . إنه إشارة الى طبيعة ثابتة في الإنسان أشارت لها الآيات والأحاديث في غير موضع ، وبنى عليها الإسلام قواعد النصح والتوجيه للرجل والمرأة . وإنما أكرم رسول الله ﷺ النساء بهذا الحديث الشريف حين خصّهن بالنصيحة والرعاية والتوجيه ، كما خصّ الرجال في مواقف أخرى ، وجمع بين الرجال والنساء في مواقف أخرى أيضاً. وبيّن الرسول ﷺ بهذا الصدد صفة من صفات نقص العقل خاصة بالنساء ، ذلك بأن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد . فهذه حقيقة ربانيّة ، ثابتة ، تمثل حقّاً مطلقاً

لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه . ولا يضرّنا أن الحضارة المادية في الأرض لاتقبل بهذه الحقائق الربانية ، فذلك شأنها . أما نحن فنقرُّ بها على رضى ويقين .

ولانجد في هذه الحقيقة المقرّرة في القرآن والسنة مايجرح كرامة المرأة أو يحقّرها أو ينقص من منزلتها التي أكرمها الله بها . فهذا النقص ليس خطأ ترتكبه المرأة فتحاسب عليه ، أو هي مسئولة عنه . ولكن الله الذي خلقها والذي هو وحده يعلم كل خصائصها حدّد منزلتها الكريمة كما سبق عرضه ، وحدّد مسئولياتها ودورها في حياة الإنسان تحديداً كريماً ، يحقّ للمرأة أن تحمد الله على فضله عليها ، وعلى ماأنقذها به من فتنة الجاهلية والحضارة المادية .

وإذا كان بعضهم يريد أن يستغل هذا النصّ لينزل المرأة عن منزلتها أو ليثير شبهات المفاضلة بينها وبين الرجل ، فقد فصّل الله سبحانه وتعالى في ذلك ، وجعل للرجل مسئولية وللمرأة مسئولية ، تتناسق هذه وتلك في سعي دائب لنصرة دين الله وإعزاز كلمته ، كما سبق أن أشرنا إليه .

ونقصان العقل ، بمعنى أنه ليس عقلاً كاملاً مطلق الكمال، فهو إما أن يكون في أمر لايتبعه حساب ولاعقاب ، كما جاء في أمر النساء أعلاه ، وإما أن يكون في أمر يترتب عليه حساب ومغفرة أو عقاب . فالآثام والمعاصي ، والزلل والأخطاء مَثَلٌ على هذا النوع الثاني الذي يشترك فيه الرجل والمرأة . وهذا النوع من النقص هو الذي ينزل الرجل والمرأة عن منزلتيهما ، ويسبب الحرج والتحقير . أما الأول فلا تحقير معه ولاإنقاص لقدر المرأة. فليطمئنّ النساء إلى أنه كلما التزمن منهاج الله وتمسكن به ، زادت درجتهن عند الله وعند الناس .

أما نقصان الدين فهو كذلك على نوعين . إما نقص نتج عن مخالفة أو زلل أو معصية ، فهذا نقص في الدين يُنزِل الإنسان عن منزلته السابقة ، سواء أكان رجلاً أم امرأة ، ويترتب عليه مسئولية وحساب ، ثم عقاب أو مغفرة من الله . ونوع آخر من نقصان الدين شأنه شأن نقصان العقل الذي عرضناه قبل قليل ، نقص يمثّل حقيقة ربّانية ، لاعيب فيها

ولاتحقير ولاإنقاص لحق أو منزلة ، ولايترتب عليه مؤاخذة من الله أو من الناس ، ولاهو أمر تعاب به المرأة ولاتُحقَّر به ، وتظل منزلتها الكريمة في الإسلام مصونة .

وهذا النقص لايعتبره عيباً أو تحقيراً أو إنقاصاً لمنزلة المرأة إلا الجاهلون . أوليس أمهات المؤمنين ، وخير نساء العالمين الأربع ، فيهن ماسمّاه رسول الله ﷺ نقصان دين ؟!

فكلمة نقصان هنا لاتعني التحقير ولكن تعني تقرير حقيقة ربانية ثابتة . وهذا النقص من خلاله تؤدي المرأة مسئوليتها في الحياة الدنيا من ولادة ورعاية وحنان . فإذا أثار بعضهم الشبهة على منزلة المرأة من ذلك ، فلماذا لم يرفعوا من منزلتها بما تتحمل من شؤون الحمل والولادة والرضاع ، والتربية والتعهد وغير ذلك ؟

وإذا كانت هذه المظاهر نقصاً في العقل ونقصاً في الدين ، كما ورد في الحديث ، فإن الحديث نفسه أشار إلى نقص في عقل الرجل ودينه يؤاخذ عليه ويحاسب به ، ويُنقص من قدره

ومنزلته: «... مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبّ منكنّ..»

فبالرغم من هذا النقص تستطيع النساء بما جعل الله لهنّ من قدرات أُخرى أن يغلبن الرجال ويذهبن بألبابهم. وكم اعترف الرجال بهذه الحقيقة عبر التاريخ. وحين يُغلب الرجل على عقله ولبه من امرأة فإنه يفقد شيئاً من منزلته ويؤاخذ على ذلك ويحاسب عليه، لأنّ الغلبة هنا تعني تقصيراً في الوفاء ببعض المسئوليات والتكاليف.

نخلص من ذلك بنتيجة واضحة هي أن الحديث لم ينقص من قدر المرأة ومنزلتها وكرامتها، ودورها المهم في الحياة، وإنما أشار إلى طبيعة عامة في الرجال والنساء، هي عدم كمال العقل أو الدين، فمن ذا الذي ماساء قط؟! وأشار من خلال ذلك إلى ناحية من هذا النقص خاصة بالنساء، لايترتب عليها مسئولية ولاحساب، وربما كان لبعض ذلك أجر عند الله وثواب، والمرأة غير مؤاخذة بذلك ولاهي معاقبة عليه.

إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان ، رجلاً أو امرأة ، كاملاً لا نقص فيه أبداً :

﴿ ... وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء : ٢٨]

وقال ﷺ : « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »

[رواه أحمد والترمذي والحاكم](١)

وقال ﷺ : «كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أُمه إلا مريم وابنها» [رواه مسلم](٢)

وقال ﷺ : « لكل ابن آدم حظّه من الزنا . فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والأذنان زناهما الاستماع ، واليدان يزنيان فزناهما البطش ، والرجلان تزنيان ، فزناهما المشي ، والفم يزني وزناه القُبل » . [رواه أبو داود](٣)

وقال ﷺ : « كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرّت

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيارته – ط٣-١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م – حديث رقم (٤٣٩١).

(٢) المرجع السابق : حديث رقم (٤٣٩٣).

(٣) المرجع السابق : حديث (٥٠٧٣).

بالمجلس فهي زانية » [رواه أحمد والترمذي][(١)]

﴿ ... وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴿٥٤﴾ ﴾ [الكهف: ٥٤]

﴿ ... وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ ... ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النساء: ١٢٨]

وتتوالى الآيات والأحاديث لتكشف لنا عن نواحي ضعف الإنسان ، مما يشير إلى أن قدرة الإنسان العقلية ليست على الصورة الكاملة التي لاتخطىء ولاتقصّر في الوفاء بمسئولياتها ، ولكن الخطأ والنسيان والهوى مظاهر نقص في الإنسان ، في الرجل والمرأة . إنها طبيعة بشرية في الرجال والنساء .

ولتيسير الأمر نقسم هذا النقص إلى قسمين : قسم أراده الله ليكون ثابتاً في البناء والتركيب ، لاذنب للإنسان فيه ، ولاهو مؤاخذ عليه ، فلا ينقص قدره ولاينزل به عن منزلته . وقسم جعله الله موضع ابتلاء وتمحيص ، يؤاخذ الإنسان عليه بالتقصير والإثم والمعصية ويبتلى بذلك ، فيغفر لمن يشاء

(١) المرجع السابق : حديث (٤٤١٦).

ويعذب من يشاء . وهذا النقص هو الذي يسيء للرجل والمرأة، وينقص قدر كل منهما على قدر مايأتيان منه .

ومن خلال هذا التركيب للإنسان بنواحي ضعفه أو قوته ، بأهوائه وشهواته وعقله ، بإيمانه وتقواه وهداه ، بكل ماخلقه الله عليه ، كان الخلق متقناً ، على حكمة ربانية . فلا نعيب على خلق الله . ولكننا نعيب على الإنسان فيما زلّ وأخطأ وعصى وأثم ، فيما يتحمل هو مسئوليته كما مضى قضاء الله وقدره على ذلك : والله قد أحسن كل شيء خلقه :

﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾
[السجدة: ٦، ٧]

إن الله قد أحسن خلق الإنسان رجلاً أو امرأة . ولايسقط الرجل ولا المرأة إلا بالنية الفاسدة والعمل الفاسد :

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ

أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [التين : ١ – ٨]

إن هذه القضية خطيرة لأنها تمسُّ واقعنا اليوم . إننا نريد أن تطمئن المرأة المسلمة إلى أن كرامتها وشرفها ومنزلتها ، كل ذلك مصون في الإسلام ، وأن لها دوراً عظيماً في الحياة الدنيا من خلال الترابط والتناسق مع الرجل . وبهذا نجاتها في الدنيا والآخرة .

أما في الحضارة المادية فالمرأة في حقيقتها مسحوقة مهما نالت من الشهادات أو احتلت من المراكز ، وهي فاقدة إيمانها وغير ملتزمة بمنهاج الله ، وهنا تهلك المرأة في الدنيا والآخرة .

إن هذه القضية مهمة وخطيرة لأنها تساعدنا على فهم خصائص الرجل وخصائص المرأة ، وخصائص الطفل والفتى ، الخصائص التي خلقهم الله عليها ، دون أن نجعلها مسوّغاً لأن نعيب على المرأة أو على الرجل بهذه الخصائص . ولكن فهمنا لها من خلال منهاج الله ، وعلى صورتها المتكاملة ، تعيننا

على وضع أفضل المناهج وأعدلها ، وأسلم الخُطط وأدقها : للدعوة إلى الله ورسوله للإيمان والتوحيد ، وللبناء والتعهد والتربية ، ولبناء الأجيال المؤمنة المتواصلة مع الزمن ، ولسلامة الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ، ولبناء حضارة الإيمان في الأرض ، وللوفاء من خلال هذا كله بعهدنا مع الله ، وبالأمانة التي نحملها ، والعبادة التي خلقنا لها ، والخلافة التي جُعلت للإنسان ، ولعمارة الأرض بالايمان والتوحيد . إنها مسئولية كبيرة وخطيرة لايمكن للرجل أن يحققها في واقع الحياة ولاأن يفي بها وحده دون المرأة ولا المرأة دون الرجل .

إنها أمانة يمكن الوفاء بها حين يتكامل دور الرجل ودور المرأة من خلال منهاج الله ، ومن خلاله فقط ، ويتناسقان في إيمان وتوحيد ، وخشوع وإنابة ، وعلم حق بمنهاج الله .

وإذا كانت الحضارة المادية فتحت أبواب العلوم المختلفة للمرأة كما فتحتها للرجل ، فالإسلام يفتح أبواب العلم هذه مترابطة بجميع قواعد الإيمان والتوحيد ومنهاج الله . وعلى ذلك

فلا نرى أَن نقص العقل الذي أشار إليه الحديث الشريف يمس قدرة المرأَة على التعلّم . فقد حدّد الحديث الشريف معنى النقص الذي يعنيه بنقطة واحدة ، فلا حقّ لنا بتجاوزها . وحين يفتح الإسلام باب العلم للرجل والمرأة فذلك حتى يستطيع كل منهما الوفاء بعهده مع الله ، وبالأمانة التي خُلِق لها ، والمهمّة والدور المنوط به .

فقد نجد امرأة وهبها الله ذكاءً أكثر من غيرها وموهبة تميّزُها ، ولكنها تظلّ امرأة كما خلقها الله بنواحي قوّتها ونواحي ضعفها . وقد نجد رجلا ضعيف الذكاء قليل العطاء ، ولكنه يبقى رجلاً بنواحي ضعفه ونواحي قوته .

إن التميّز لايُخرج المرأة عن كونها امرأة ، ولا الرجل عن كونه رجلاً . والضعف كذلك لايخرج أيّاً منهما عن حقيقته رجلاً كان أو امرأة .

فالرجل يُعرف رجلاً بخصائص خلقه الله بها ليؤدّي

مسؤوليته التي خلقه الله لها . والمرأة تعرف امرأة بخصائص خلقها الله بها لتؤدّي مسؤوليّتها التي خلقها الله لها . وكرامة الرجل بوفائه بمسؤولياته ، وكرامة المرأة بوفائها بمسؤوليتها .

ومن أهم مسؤوليات المرأة أن لا تعرض زينتها وأن لاتكشف مفاتن جسمها وتفاصيله بالثياب الضيّقة أو العري، حتى لاتكون مصدر فتنة وفساد في الأرض ، تحمل هي المسؤولية الأولى في ذلك .

الخاتمة

في المجتمع الإسلامي الملتزم بالإسلام ، بالكتاب والسنّة ، لا تكون المرأة فيه مشكلة ولا الرجل مشكلة ، كما ذكرنا من قبل . فالرجل يعرف مسؤولياته وحدوده ، والمرأة تعرف مسؤوليتها وحدودها ، وينشأ التعاون بينهما من الإيمان الواحد والرسالة الربّانيّة الواحدة والصراط المستقيم الواحد الذي يمضيان عليه فيكون التعاون في عبوديّة صادقة لله ، وإنابة وخُشوع .

إذا جهل الرجل دربه وأهدافه ورسالته ، وإذا جهلت المرأة دربها وأهدافها ورسالتها ، فكيف لا يكون الرجل نفسه مشكلة والمرأة نفسها مشكلة ، ويدور صراع الأهواء والمصالح الدنيويّة .

وهل هناك من حلٍّ عندئذ ؟! ومن أين يأتي الحلّ ؟ وستبقى المرأة تمثل مشكلة حقيقية والرجل يمثل مشكلة حقيقية .

ليس من سبيل أمام الرجل والمرأة إلا أن يغوصا في وحول الشهوات ورجسها ليملأ الحياة رجساً وفساداً ، أو يعودا إلى الدين الواحد والرسالة الواحدة ، والدرب الواحد والأهداف الواحدة .

إنها إحدى حالتين لا ثالث لهما : إما الإسلام الحقُّ كما أنزل على محمد ﷺ – قرآناً وسنة ولغة عربية – ، وإما العَلمانية إدباراً عن الآخرة أو كفراً بها وإقبالاً على الدنيا وشهواتها وعَرَضها الزائل .

إنها إحدى حالتين لا ثالث لهما : إما الجنّة والدار الآخرة واعتبار الحياة الدنيا ممرّاً إلى الآخرة ، وإما طلب الدنيا وحدها . ولا يوجد بين الحالتين إلا خداع النفس وخداع الناس بالنّفاق والوهم ، حتى يسقط الإنسان في حمأة الدنيا ، فيُضاعف له العذاب يوم القيامة ويكون في الدرْك الأسفل من النار :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الاسراء : ١٨ ، ١٩]

وكذلك :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس : ٧ - ١٠]

وكذلك :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء : ١٤٥]

فهما إذن دربان مختلفان لا لقاء بينهما أبداً : الإسلام أو العَلمانية .

فهرس كتاب
المرأة بين نهجين

الموضوع	الصفحة
● الإهداء	٥
● الافتتاح	٧
● المقدمة	٩
الباب الأول	
الفصل الأول: المرأة بين نهجين.	١٧
الفصل الثاني: إنما النساء شقائق الرجال.	٢٧
الفصل الثالث: القضية الأولى للرجل والمرأة في واقعنا اليوم.	٤٧
الباب الثاني	
يامعشر النساء	
الفصل الأول: الاختلاط والزيارات العائلية.	٦٣
الفصل الثاني: مع الحديث الشريف: «يامعشر النساء..»	١٠١
الخاتمة	١٦٥
الفهرس	١٦٧
كتب المؤلف	١٦٩

كتــب المؤلــف

الرقم	الموضـــــوع	الطبعة
أولاً: كتب توجز النهج العام والنظرية العامة للدعوة الاسلامية:		
١	موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين .	ط ٢
٢	أضواء على طريق النجاة	ط ٢
٣	النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية	ط ٤
ثانياً: كتب تفصل النهج العام والنظرية العامة في الدعوة الإسلامية:		
٤	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية	ط ٦
٥	منهج المؤمن بين العلم والتطبيق	ط ٥
٦	النظرية العامة للدعوة الإسلامية - نهج الدعوة وخطة التربية والبناء	ط ٣
٧	منهج لقاء المؤمنين	ط ١
٨	لقاء المؤمنين - أسسه وقواعده - الجزء الأول	ط ٤
٩	لقاء المؤمنين - الجزء الثاني - الأهداف	ط ٤
١٠	العهد والبيعة وواقعنا المعاصر	ط ٣

كتـــب المؤلـف

الرقم	الموضـــــوع	الطبعة
١١	عهد الله والعهد مع الله بين التفلت والالتزام .	ط ١
١٢	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال .	ط ٢
١٣	الفقه : امتداده وشموله بين المنهاج الرباني والواقع .	ط١
١٤	الإسلام أركان وبناء - تذكير ونصح .	ط ٢
١٥	فقه الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية .	ط ١
١٦	المسؤولية الفردية في الإسلام : أسسها وتكاليفها وتميّزها .	ط١
١٧	التربية في الإسلام النظرية والمنهج .	ط ١
١٨	المنهج الإيماني للتفكير (تحت الإعداد) .	
	ثانياً : كتب تعرض أهم قضايا التوحيد في واقعنا المعاصر والنهج والخطة للدعوة والبلاغ والبيان:	
١٩	التوحيد وواقعنا المعاصر	ط ٤
٢٠	الحقيقة الكبرى في الكون والحياة	ط٢
٢١	النية في الإسلام وبُعدها الإنساني	ط ٢
٢٢	الولاء بين منهاج الله والواقع	ط ٤

كتــب المؤلــف

الرقم	الموضـــــــوع	الطبعة
٢٣	الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام	ط ٤
٢٤	الخشــــوع	ط ١
رابعاً : كتب تدرس بعض القضايا الفكرية في الواقع وبعض احداثه :		
٢٥	الشورى وممارستها الإيمانية	ط٣
٢٦	الشورى لا الديمقراطية	ط ٤
٢٧	الصحوة الإسلامية إلى أين ؟	ط ٣
٢٨	التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام	ط١
٢٩	واقع المسلمين أمراض وعلاج	ط١
٣٠	بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية	ط١
٣١	المسلمون بين العَلمانية وحقوق الإنسان الوضعية .	ط ١
٣٢	المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية .	ط ١

كتــب المؤلــف

الرقم	الموضــــــــوع	الطبعة
٣٣	على أبواب القدس	ط ٢
٣٤	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع	ط ٥
٣٥	عبدالله عزام أحداث ومواقف	ط ١
وتعتبر الملاحم الأدبية التي سيلي ذكرها جزءاً من دراسة الواقع .		
خامساً : كتب تدرس الأدب الملتزم بالإسلام والنقد (النصح) الأدبي، وترد على المذاهب الأخرى:		
٣٦	الأدب الإسلامي - إنسانيته وعالميته	ط ٣
٣٧	النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء	ط ١
٣٨	أدب الوصايا والمواعظ في الإسلام منزلته ونهجه وخصائصه الإيمانية الفنية .	ط١
٣٩	لماذا اللغة العربية .	ط ١
٤٠	الحداثة في منظور إيماني	ط ٤
٤١	تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها	ط ٣

كتـــب المؤلــف

الرقم	الموضـــــوع	الطبعة
٤٢	الأسلوب والأسلوبية والأدب الملتزم بالإسلام	ط ١
سادساً : الدواوين الشعرية		
٤٣	ديـوان الأرض المباركـة	ط ٦
٤٤	ديوان موكب النور	ط ٤
٤٥	ديوان جراح على الدرب	ط ٣
٤٦	ديوان مهرجان القصيد	ط ١
٤٧	أكثروا ذكر هاذم اللذات - أب يرثي ابنه	ط ١
سابعا : الملاحـــم الشعـــريـــة :		
٤٨	ملحمة فلسطين	ط ٥
٤٩	ملحمة الأقصى	ط ٢
٥٠	ملحمة الجهاد الأفغاني	ط ٣
٥١	ملحمة البوسنة والهرسك	ط ٢
٥٢	ملحمة الإسلام في الهند	ط ٢
٥٣	ملحمة القسطنطينية	ط ٢

كتـــب المؤلــف

الرقم	الموضـــــــوع	الطبعة
٥٤	ملحمة الغرباء	ط٣
٥٥	ملحملة أرض المرسلات (تحت الإعداد والطباعة)	
ثامناً : كتب في الدعوة الإسلامية باللغة الإنجليزية :		
٥٦	خطة الداعية (The Caller's Plan)	ط٢
تاسعاً : كتب ترجمت إلى لغات أخرى:		
٥٧	لقاء المؤمنين – الجزء الأول « باللغة التركية »	ط١
٥٨	فلسطين بين المنهــاج الــربــاني والــواقع «باللغة التركية »	ط١
٥٩	فلسطين بين المنهــاج الربــاني والـواقع «باللغة الانجليزية »	ط١
عاشراً : كتب في علوم أخرى:		
٦٠	دراسة الموجات الإلكترومغناطيسية المتوسطة «بالانجليزية»	ط١

دار النحوي للنشر والتوزيع

دار النحوي للنشر والتوزيع

تلفون وفاكس : ٤٩٣٤٨٤٢

ص.ب : ١٨٩١ الرياض : ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية

الجمع التصويري والإخراج بالتعاون مع :

مركز حسن للطباعة - الرياض - هاتف ٤٠٥٥١٤٥/٠١

مع هذا الكتاب

فمسؤولية الإنسان إذن عظيمة ممتدة مع الحياة والأجيال. ولايستطيع الرجل أن يخوضها وحده ، ولا المرأة وحدها ، وإنما هي مسؤلية مشتركة بين الرجل والمرأة ، حين يقوم الرجل بالتكاليف المنوطة به ، وتقوم المرأة بالتكاليف المنوطة بها ، وتظل المرأة امرأة ، ويظل الرجل رجلاً ، حتى يكون النساء بذلك شقائق الرجال ، لا أن يصبحن رجالاً ، ولا أن يصبح الرجال نساء.

ففي الحياة الزوجية لايكون النساء شقائق الرجال إلا إذا كان الرجل زوجاً يقوم بمسؤوليات الزوج والقوامة والأبوة ، والمرأة تقوم بمسؤليات الزوجة والأمومة. فإذا أخذت المرأة بعض دور الزوج تحت شعار المساواة وجعلت القوامة لها مثلاً ، فلا هي أصبحت رجلاً حقيقة ولا مساوية للرجل ، ولا هي قامت بالدور الذي خلقت له - دور الأم - فتضطرب الحياة الزوجية وتفسد ، ولاتعود النساء بذلك شقائق الرجال . ومن هنا جاء الحديث الصحيح :

عن ابن عباس رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء.﴾ [رواه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجة] والتشبه ليس في اللباس فقط ، وإنما كذلك في السلوك والعمل ، حين تأخذ المرأة دور الرجل حيث لايحق لها ذلك ، أو يأخذ الرجل دور المرأة حيث لا يجوز له ذلك .

ولانستطيع أن نضع حدوداً فاصلة بين هذا الدور وذاك الدور في جميع ميادين الحياة . ولكن وضع الإسلام نهجاً واضحاً محدداً يتبعه المجتمع المسلم برجاله ونسائه ، يدرك الرجل المسلم من خلاله مسؤولياته ، وتدرك المرأة من خلاله مسؤولياتها . ويسهل معرفة حدود كلٍ منهما إذا صفا الإيمان والخشية من الله ، وصدق العلم بمنهاج الله .

مكتبة خالد شامان (٢)
ت - ٢٣٠٠٠١١

K.Shaman B.S
S.R. 8.00
01000759

مطبعة دار ... - الرياض - ت: ٤٢٨٣٨٤٠
ردمـــك : ١-٦٨٧٥١-٩٩٦٠